أختي في الإسلام

بقلم الرئيس العام

الشيخ محمد صفوت نور الدين

أختي في الإسلام : *السلام عليك ورحمة الله وبركاته . وأسأل الله لك دوام الحفظ ، وكمال الرعاية ، واستمرار الحماية ، وجميل الإرشاد والتسديد .*

تذكري أيتها الأخت المسلمة : أن الله حباك ، ووهبك من صفات الخير في نفسك ما تحبينه، وما جعلك محببة لغيرك من أب وأم ، وأخ وزوج وولد ، فلا تنسي ما يحببك لربك من خلق وعمل ، فالواهب سبحانه قادر على أن يسلب ما وهب ، فاتقي الله وقولي قولًا سديدًا ، وقولي : (اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا أبدًا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا) .

أيتها الأخت المسلمة : الله وهبك الوجه الجميل ، والبدن الجميل ، فاحذري سبل الشيطان : بدعوة المرأة للتبرج ، فاستري البدن بالثوب الذي أراده الله ، واستري النفس بالتقوى كما شرع الله .

﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [**الأعراف : ٢٦ ، ٢٧**] .

أخت الإسلام : الله أنقذك من حكم الجاهلية الأولى ، التي كانت تئد البنات ، وتعتبر المرأة رجسًا وتعدها متاعًا يتوارثه الرجال ، كما يتوارثون متاع البيت وأوانيه .

الإسلام أنقذ البنت من الدفن حية ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ

أوصى الإسلام بالمرأة التي مات عنها زوجها ولم يتركها كما تركتها الحضارة الحديثة

يجب على الأخت المسلمة أن تكون عونًا لزوجها على دينه ودنياه

قُتِلَتْ ﴾ [التكوير : ٨ ، ٩] ، والحضارة الحديثة تعود إلى وأد البنت ، فتجعلها مضيعة ، وتستغلها للمتاع في الشوارع والطرقات والأسواق والحانات – الحضارة الحديثة أعادت المرأة للرق ، فإذا رافقها الرجل فأنجبت منه تركها وولدها الذي أنجبته ؛ لتبقى في شقاء الكسب وضنك الحياة ، فإن لم تتبذل عليه جاعت ، وأجاعت أطفالها ، لذا فإن أشقى مخلوقات الأرض تلك المرأة التي جرت وراء زخرف الحضارة الحديثة ، فخالفت شرع الله سبحانه ، الذي شرع شرعًا مطهرًا ، وبنى دينًا قويمًا . جعل السعادة لمن اتبعه ، والشقاء لمن خالفه ، وجعل الجنة لمن آمن به ، وعمل ، والجحيم لمن كفر به ، وعصى أمره .

أيتها الأخت المسلمة : الله كرمك في طفولتك بأسباب الرعاية والعناية ، فجعل في قلب الوالدين حبًا فطريًا لا يسعدان حتى تسعدي ، ولا يستريحان حتى تستريحي ، ثم أكمل ذلك بالشرع الذي اعتنى بك في الرعاية والتربية ، ووعد بالجنة كل من أحسن إليك في الدنيا .

فلقد روى مسلم في « صحيحه » عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين » وضم أصابعه .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات ، فأعطت كل واحدة منهما تمرة ، ورفعت إلى فيها تمرة ؛ لتأكلها ، فاستطعمتها ابنتاها ، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما ، فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال : « إن الله قد أوجب لها بها الجنة » ، أو « أعتقها بها من النار » .

والله أوصى بك زوجةً ؛ لتكون العشرة بالمعروف ، فقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ

خَيرًا كَثِيرًا * وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ١٩ ، ٢٠] .

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها آخر » . وأخرج الترمذي عن عمرو بن الأحوص أنه سمع النبي ﷺ في حجة الوداع يقول : « ألا واستوصوا بالنساء خيرًا ، فإنما هن عوان عندكم ، ليس تملكون شيئًا غير ذلك ، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربًا غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلًا ، ألا إن لكم على نسائكم حقًا ، ولنسائكم عليكم حقًا ، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن » .

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « استوصوا بالنساء خيرًا فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرًا » .

والإسلام يوصي بالمرأة التي مات عنها زوجها ، فلا يتركها ، كما تركتها الحضارة الحديثة ضائعة ، فلقد أخرج الشيخان أن النبي ﷺ قال : « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله – وأحسبه قال –: وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر » .

أما عن المرأة أمًا ؛ فإن الإسلام كرمها غاية التكريم فيقول الله سبحانه : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ [لقمان : ١٤] .

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : « أمك » . قال : ثم من ؟ قال : « أمك » . قال : ثم من ؟ قال : « أمك » . قال : ثم من ؟ قال : « أبوك » . وقال تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء : ٢٣ ، ٢٤] .

أيتها الأخت المسلمة : إن الله القادر الحكم العدل أرشدك في كتابه ، وأرسل رسولًا يبين لك الأمر الذي ينبغي أن تتبعيه فاتقي الله على كل حال ، واعلمي أن عليكِ واجبات ، فاحذري التقصير فيها ، فإن المعصية لله ورسوله سبيل الشيطان ، نذكر من هذه الواجبات :

الواجب الأول : واجبك نحو ربك من معرفته وتوحيده ، واجتناب الشرك به ، وعبادة غيره ، فدعاء غير الله شرك ، وتعليق الأحجبة والتمائم شرك ، والتشاؤم شرك ، والحلف بغير الله شرك . وعليك أن تؤدي حق الله في الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وصدق الحديث ، وحفظ العورات ، والتزام الحجاب والقرار في البيت ، وعدم مخالطة الرجال إلا إذا كان ذا محرم ، واحذري أخت الإسلام الغيبة والنميمة فإن الله حمى أعراض الغائبين .

الواجب الثاني : واجب الزوج أن تكوني له عونًا على دينه ودنياه ، فإن النبي ﷺ حدد صفات الخير في الزوجة بقوله : « إذا نظرت إليها سرتك ، وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك » واعلمي أن الجنة في طاعة الزوج وأن الجنة غالية فلا تبيعيها بثمن بخس أبدًا .

الواجب الثالث : واجب الولد الذي حباك الله به ، فهو منحة الله رب العالمين ، وأنت عنه مسئولة في حسن رعايته ، وجميل تأديبه ، فعلميه الخير ، وجنبيه الشر ، علميه الصدق والصلاة وحسن الخلق واحترام الوالدين وعفة اللسان وغض البصر ، وليكن تعليمك له بالسلوك موافقًا لتعليمه بالقول .

الواجب الرابع : واجبك نحو الأرحام من الأقارب وأقارب زوجك في الإحسان إليهم ، فإن للرحم حقًّا الله أمر به ، ووعد عليه الأجر الجزيل .

الواجب الخامس : واجبك نحو الكافرات من حولك أن تعتزي بإسلامك ، وتظهري لهم جميل خلق المسلمات ، وتظهري بالسمت الحسن ، والاعتقاد السليم الذي صاغ به رب العزة الحياة كلها صياغة خالية من الكفر والتبذل ، فإن كنت مثالًا حسنًا لدينك نفع الله بك كثيرًا ، وأجزل لك الثواب والعطاء في الدنيا والآخرة .

أخت الإسلام : الله رقيب مطلع فراقبي الله وأطيعي أمره وأمر رسوله .

والله من وراء القصد

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة التحرير

أعياد الميلاد

بقلم رئيس التحرير صفوت الشوادفي

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذكر ، أو أراد شكورًا ، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى ، ورسوله المجتبى ، وبعد :

فإن من قواعد الشريعة المجمع عليها ؛ قاعدة النهي عن التشبه بالكافرين – وهم غير المسلمين – والأمر باجتناب هديهم بصفة عامة ، واجتناب أعيادهم بصفة خاصة .

وقد ثبت في تحريم ذلك كله أدلة قاطعة ، وقامت عليه حجج دامغة .

ومع هذا فقد وقع أكثر المسلمين – عن قصد ، أو غير قصد – في هذه المعصية ، وارتكبوا كبيرة التشبه والتقليد في صوره المختلفة ؛ في العادات والتقاليد ، واللغة ، والأعياد ، والاحتفالات ، والأكل والشرب ، وغير ذلك مما يفعله المتشبهون ، ويجتنبه المؤمنون الطائعون .

وفي قول الحق جل وعلا : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ [الفرقان : ٧٢] ، فسَّر طائفة كبيرة من أهل العلم ذلك الزور : بأنه أعياد المشركين ، ومن هؤلاء العلماء : محمد بن سيرين ، ومجاهد ، والقاضي أبو يعلى ، والضحاك ، وغيرهم .

هذا وقد ثبت في السنة الصحيحة أيضًا أن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ، ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال : « ما هذان

اليومان ؟ » ، قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية . فقال رسول الله ﷺ : « إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما : يوم الأضحى ، ويوم الفطر » ، رواه أبو داود والنسائي وأحمد .

وقد ثبت في السنة الصحيحة أيضًا ما يدل على أن الله عز وجل قد خصنا بأعياد لا يشاركنا فيها غيرنا ، ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم ، وجاء فيه قول رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه : « إن لكل قوم عيدًا ، وإن عيدنا هذا اليوم » .

فتبين من الحديث الأول : أن الشريعة قد حرمت علينا أن نشارك غيرنا في أعيادهم ، سواء بالتهنئة ، أو الحضور ، أو أي صورة أخرى من الأقوال ، أو الأفعال ، أو الإقرار !

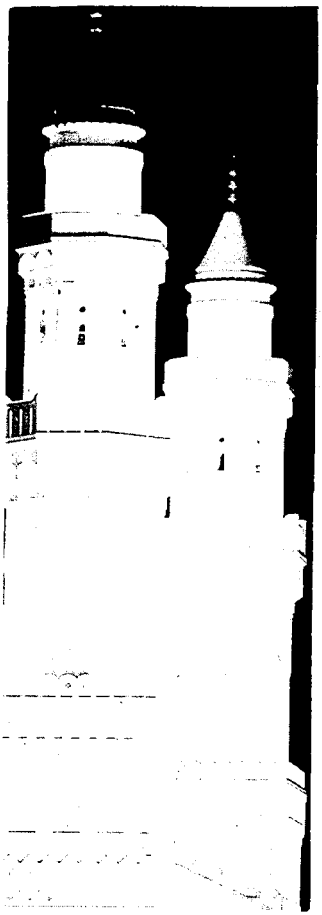

وتبين من الحديث الثاني : أن الشريعة قد جعلت لنا أعيادًا نتميز بها ، هما : عيد الفطر ، وعيد الأضحى ، لا يشاركنا فيهما غير المسلمين ، ولا يجوز لنا أن نزيد عليها أعيادًا أخرى ، لأن الأعياد من المسائل الشرعية التعبدية التي لا يجوز الابتداع فيها ، أو إحداث شيء منها غير ما شرعه الله ورسوله ﷺ .

وتعد أعياد الميلاد من أهم أعياد غير المسلمين التي نهت عنها الشريعة ، وتنقسم هذه الأعياد إلى ثلاثة أقسام :

- ✸ أعياد ميلاد الأولياء (الموالد) .
- ✸ أعياد ميلاد المسيح عليه السلام (عند النصارى) .
- ✸ أعياد الميلاد الخاصة .

● **أما القسم الأول :** وهو الموالد ؛ فمن المعلوم أنها بدعة منكرة ، وضلالة ظاهرة ، والقائمون عليها يعلمون أنها كذلك ؛ ولكنهم : ﴿ جَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ [النمل : ١٤] ، ومن العجيب في هذه البدعة أن هؤلاء الأموات لم يكونوا يقيمون لأنفسهم أعياد ميلاد في حياتهم ؛ فلما ماتوا جاء أرباب البدع بهذه المنكرات ، وتلك الضلالات .

وقد صدرت الفتاوى الكثيرة من الأزهر الشريف ، ودار الإفتاء السعودية ،

ومع انتشار الوعي الديني ، ونمو المعرفة ، واتساع دائرة التعليم انفض كثير من المسلمين عن هذه البدع ، وتابوا إلى الله منها .

ونحن نرجو من الله أن يوفق هذه الأمة إلى التمسك بالكتاب والسنة ، والاستقامة على صراطه باتباع الرسول الذي أرسله ، والكتاب الذي أنزله .

• **وأما القسم الثاني :** وهو أعياد ميلاد المسيح عليه السلام ، والتي يقيمها النصارى في بداية ونهاية السنة الميلادية ، فإن ذلك يحتاج من كل مسلم أن يجتنبها ، وأن يحذر منها غيره .

وقد جاءت الآثار التي تنهى غير المسلمين عن إظهار أعيادهم بصفة خاصة ، أو التشبه بالمسلمين بصفة عامة ، ومن أشهرها ما ثبت عن عمر بن إلخطاب رضي الله عنه بسندٍ جيد ، وكذلك غيره من الأئمة من بعده ، وسائر الفقهاء أنهم جعلوا في الشروط المشروطة على أهل الذمة من النصارى ما يلي :

(**أن** نوقر المسلمين ، ونقوم لهم من مجالسنا ، إذا أرادوا الجلوس ، ولا نتشبه بهم في شيء ، من لباسهم : قلنسوة ، أو عمامة ، أو نعلين ، أو فرق شعر ، ولا نتكلم بكلامهم ، ولا نكتني بكناهم ، ولا نركب السروج ، ولا نتقلد السيوف ، ولا نتخذ شيئًا من السلاح ، ولا نحمله ، ولا ننقش خواتيمنا بالعربية ، ولا نبيع الخمور ، وأن نجز مقادم رءوسنا ، وأن نلزم زِيَّنا حيثما كان ، وأن نشد الزنانير[1] على أوساطنا ، وأن لا نظهر الصليب على كنائسنا ، ولا نظهر صليبًا ، ولا كتبًا ، في شيء من طرق المسلمين ، ولا أسواقهم ، ولا نضرب بنواقيسنا في كنائسنا إلا ضربًا خفيًا ، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ، ولا نظهر النيران معهم في شيء من طرق المسلمين)[2] .

ويبدو - بوضوح وجلاء - من خلال هذه الوثيقة الثابتة مقدار الفجوة الواسعة بين مسلمي اليوم ، ومسلمي الأمس .

إن كثيرًا من المسلمين اليوم يشارك غير المسلمين في أعيادهم بصورة تجعل الناظر إليهم يعتقد أن هذه الأعياد هي أعياد المسلمين مادام أن اهتمامنا بها يفوق اهتمام أصحابها !!

وأهم ما ينبغي أن يتنبه له المسلمون هو أن هذه الأعياد أعياد دينية ، وليست

ثبت في السنة الصحيحة ما يدل على أن اللّه عز وجل قد خصنا بأعياد لا يشاركنا فيها غيرنا ، وقد حرَّمت الشريعة علينا أن نشارك غيرنا في أعيادهم ، سواء بالتهنئة ، أو الحضور ، أو أي صورة أخرى من الأقوال ، أو الأفعال ، أو الإقرار !

دنيوية ؛ فعيد الفصح – عندهم – : هو عيد ذكرى قيامة المسيح من الموت بعد الصلب[٣] !!!

ويحتفلون كذلك بالخميس الصغير ؛ وهو الواقع قبل آخر خميس من أيام صومهم ، ثم يحتفلون بالخميس الكبير ، وهو آخر صوم النصارى ، ويسمى : عيد المائدة ، ويلي ذلك يوم الجمعة ، ويسمونها : جمعة الصلبوت ، أي : التي صلب فيها المسيح بزعمهم الكاذب ، ثم يوم السبت ، ويسمونه : سبت النور ! ثم يوم الأحد ، وهو العيد الكبير عندهم ؛ وهو اليوم الذي يزعمون أن المسيح قام فيه !!

ثم يليه بعد أسبوع الأحد الحديث يلبسون فيه الجديد ، ويحتفلون به ، وكل هذه الأيام قد نبه أهل العلم على أنها أيام عيد ، وحذَّروا الأمة أن تقتدي بهم ، أو تتشبه في شيء من ذلك .

أضف إلى ذلك هذه المنكرات والفواحش التي أضافوها إلى أعياد الميلاد .

• **وأما القسم الثالث :** أعياد الميلاد الخاصة التي يقيمها بعض المسلمين في بيوتهم لأنفسهم ، أو لأبنائهم بشموع ، أو بغير شموع ، فهذا من البدع المنكرة ، وهي صورة واضحة من صور التشبه بغير المسلمين ؛ ترجع إلى نقص في الإيمان ، وجهل بأحكام الشريعة ، وتقليد أعمى بغير تفكر ولا تدبر .

إن الإسلام لا يرضى لأتباعه أن يقيموا أعياد الميلاد ، ولا أن يشاركوا فيها ، أو يرضوا بها ، أو يقر بعضهم بعضًا عليها ، سواء كانت أعياد ميلاد للأولياء ، أو ما يفعله النصارى ، أو كانت أعيادًا خاصة تقيمها البيوت ، وترعاها الأسر .

فمن وقع في شيء من هذا فقد تشبه بغير المسلمين .

ومن تشبه بقوم فهو منهم ، ومن أحب قومًا حشر معهم !

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه

صفوت الشوادفي

أعياد الميلاد الخاصة التي يقيمها بعض المسلمين في بيوتهم لأنفسهم ، أو لأبنائهم بشموع ، أو بغير شموع ، من البدع المنكرة ، وهي صورة واضحة من صور التشبه بغير المسلمين ، وترجع إلى نقص في الإيمان ، وجهل بأحكام الشريعة ، وتقليد أعمى بغير تفكر ولا تدبر .

---

(١) الزنانير : جمع زنار ؛ وهو : الحزام .

(٢) « اقتضاء الصراط المستقيم » [ج ١ ص ٣٢٠] .

(٣) بيَّن القرآن الكريم أن المسيح عليه السلام لم يُصلب ، ومن التناقض أن يُشارك المسلم في أعياد يقيمهاأصحابها للاحتفال بالقيامة بعد الصلب !!

وجوب طاعة اللّه وطاعة رسوله وأولي الأمر

فضيلة الشيخ / عبد العظيم بدوي

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾

[النساء : ٥٩] .

هذه آية شريفة من سورة النساء ، جمعت مفاتيح السعادة في الدنيا والآخرة ، فأمرت المسلمين بطاعة الله ورسوله ليصلح لهم دينهم الذي هو عصمة أمرهم ، ثم أمرتهم بطاعة أولي الأمر لتصلح لهم دنياهم التي فيها معاشهم ، ثم أرشدتهم إن تنازعوا في شيء فيما بينهم وبين أنفسهم ، أو تنازعوا في شيء مما بينهم وبين أولي الأمر منهم أن يردُّوا المتنازع فيه إلى كتاب الله وسنة رسول الله ليقضوا على هذا التنازع الذي لو دام لأدى إلى فشلهم وذهاب دولتهم .

وهكذا جمعت هذه الآية على وجازتها وقلة ألفاظها مفاتيح السعادة في الدنيا والآخرة .

أما الأمر الأول : وهو طاعة الله ورسوله ، فقد كثر الأمر به في القرآن الكريم .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُواْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٣].

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ.وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٠].

وقال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [التغابن : ١٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [المائدة : ٩٢] .

ولقد بين الله تعالى في كتابه المبين ثمرات الطاعة له ولرسوله ؛ ليستثير الهمم لها ، ويزيد الحرص في قلوب المؤمنين عليها .

فأخبر سبحانه أن الطائعين له ولرسوله هم الفائزون ، فقال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧١] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ ﴾ [النور : ٥٢] .

والفوز هنا معناه : النجاة من النار ودخول الجنة ، كما قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

وقد صرح ربنا سبحانه بذلك فقال : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [النساء : ١٣] .

وبيَّن سبحانه أن الفائزين بالجنة من أهل طاعته يحشرون يوم القيامة مع أفضل خلقه ، فقال سبحانه : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَٱلصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰئِكَ رَفِيقاً ﴾ [النساء : ٦٩] .

وبيَّن سبحانه أن أهل طاعته هم أهل رحمته ، فقال سبحانه : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٣٢]، **وقال تعالى** : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة : ٧١] رحمةً تمتد ظلالها على جميع مجالات الحياة ؛ فتغمرها بالأمن والأمان ، والسِّلم والسلام ، وسعة الرزق ورغد العيش ، واستقرار البيوت وسلامة المجتمع ، رحمةً تجمعهم على قلب رجل واحد منهم ، فتنأى عنهم الخلافات والنزاعات ، رحمةً تجعلهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

وإذا كان الله تعالى أمر بطاعته وطاعة رسوله ، وبيَّن أن أهل طاعته هم الفائزون ، فإن الله تعالى قد حذَّر من معصيته ومعصية رسوله ، وبيَّن أن العصاة هم الخاسرون : ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الزمر : ١٥] .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ [الجن : ٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء : ١٤] .

وبيَّن سبحانه أن المعصية هي سبب هلاك السابقين ، وطردهم من

طاعة أولي الأمر ليست مطلقة ، وإنما هي مقيَّدة بطاعة اللَّه ورسوله ﷺ ، وإذا أمروا بما هو معصية للَّه ورسوله ، فلا طاعة لهم ، ولعل هذا هو السِّر في عدم تكرار الأمر « أطيعوا » مع أولي الأمر لتكون طاعتهم في طاعة اللَّه ورسوله فقط . فإذا كنا مأمورين بطاعة أولي الأمر من الأمراء والعلماء ، فيجب أن نعلم أن هذه الطاعة مقتصرة على المعروف ، فلا يجوز الغلو في الطاعة حتى نطيع في المعروف والمنكر ، ولا يجوز التفريط في الطاعة حتى لا نطيع في شيء ، فنحن أمة وسط في كل شيء .

رحمة الله ، فقال تعالى : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة : ٧٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَٱلْمُؤْتَفِكَاتُ بِٱلْخَاطِئَةِ * فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ [الحاقة : ٩ ، ١٠] ، والمراد من ذلك : تحذير المؤمنين أن يعصوا كما عصى من قبلهم ؛ فيأخذهم كما أخذهم ، ولذا قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا * أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَا أُوْلِي ٱلْأَلْبَابِ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾ [الطلاق :٨ - ١٠] .

وقد حذَّر الله من عصيان رسوله ، وبيَّن أن من عصاه سيندم يوم القيامة أشدَّ الندم ، ولات حين مناص ، قال تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء : ٤١ ، ٤٢] .

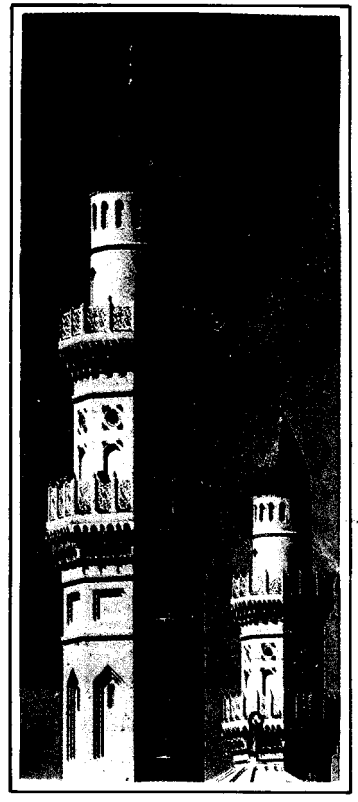

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان : ٢٧ - ٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴾ [الأحزاب : ٦٤ - ٦٦] .

فعليكم معشر المسلمين بطاعة الله ، وطاعة رسوله ، لا تحيدوا عنها قيد أنملة ، ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ [التحريم :٨].

أما الأمر الثاني مما أمرت به الآية الكريمة فهو طاعة أولي الأمر :

وقد اختلف أهل التأويل في أولي الأمر الذين أمر اللَّهُ عباده بطاعتهم في هذه الآية : فقال بعضهم : هم الأمراء ، واستدلوا على ذلك بأدلة : منها قولهم : إن الله تعالى أمر أوَّلًا الرعاة الولاة بأداء الأمانات إلى أهلها ، والحكم بالعدل ، ثم أمر الرعيَّة بطاعة أولي الأمر ، فدل السياق القرآني على أن المراد بأولي الأمر : الرعاة والولاة .

ويؤيد هذا ما جاء عن النبي ﷺ في الأمر بطاعة الولاة والأمراء ، من ذلك : قوله ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبدٌ حبشي ، كأن رأسه زبيبة »[1] . وقوله ﷺ : « عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة

عليك »[٢] . وقوله ﷺ : « إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها » . قالوا : يا رسول الله ! كيف تأمر من أدرك منا ذلك ؟ قال : « تؤدون الحقَّ الذي عليكم ، وتسألون الله الذي لكم »[٣] . وقوله ﷺ : « من كره من أميره شيئًا فليصبر ، فإن من خرج من الطاعة شبرًا مات ميتة جاهلية »[٤] . وقوله ﷺ : « اتقوا الله وصلُّوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم ، وأطيعوا أمراءكم ، تدخلوا جنة ربكم »[٥] . وقوله ﷺ : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني »[٦] .

فهذا ما استدل به البعض على أن أولي الأمر المراد بهم : الرعاة والولاة .

وذهب بعضهم إلى أن أولي الأمر هم العلماء ، واستدلوا على ذلك بأن الله تعالى أمر بطاعة العلماء فقال : ﴿ فَسْئَلُواْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٤٣] ، وقال : ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ ٱلرَّبَّانِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ﴾ [المائدة : ٦٣] ، وقال : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : ٨٣] .

والحقيقة أن هذا القول الثاني لا يعدُّ قولًا ثانيًا في الآية ، بل هو مما يشمله لفظها . قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

(**وقد** أمر الله تعالى في كتابه بطاعته ، وطاعة رسوله ، وطاعة أولي الأمر من المؤمنين ، وأولو الأمر : أصحاب الأمر وذووه ، وهم الذين يأمرون الناس ، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل

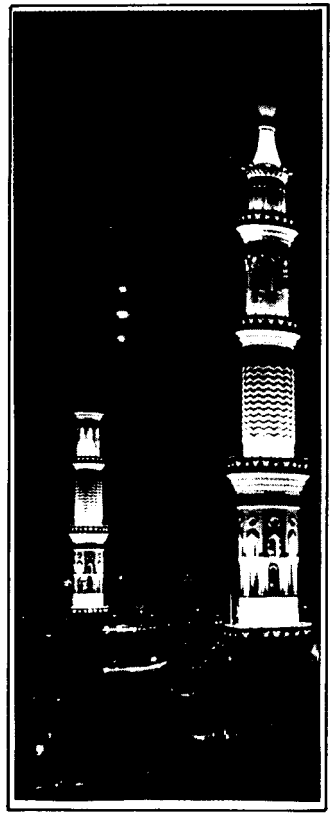

العلم ، فلهذا كان أولو الأمر قسمين : العلماء والأمراء ، فإذا صلحوا صلح الناس ، وإذا فسدوا فسد الناس)[٧] .

إلا أن طاعة أولي الأمر ليست مطلقة ، وإنما هي مقيَّدة بطاعة الله ورسوله ، فإذا أمروا بما هو طاعة لله ورسوله أطاعوا ، وإذا أمروا بما هو معصية لله ولرسوله ، فلا طاعة لهم ، ولعل هذا هو السرُّ في عدم تكرار الفعل : « أطيعوا » مع أولي الأمر لتكون طاعتهم في طاعة الله ورسوله فقط ، وقد صرح بذلك النبي ﷺ في أحاديث ، منها : قوله ﷺ : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبَّ أو كره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »[٨] .

وعن عليٍّ رضي الله عنه قال : بعث النبي ﷺ سرية ، واستعمل عليهم رجلًا من الأنصار ، وأمرهم أن يطيعوه ، فغضب فقال : أليس أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعوني ؟ قالوا : بلى . قال : فاجمعوا حطبًا ، فجمعوا حطبًا ، قال : أوقدوا نارًا ، فأوقدوها . قال : فادخلوها . فهمُّوا ، وجعل بعضهم يمسك بعضًا ويقولون : فررنا إلى النبي ﷺ من النار ، فما زالوا حتى خمدت النار ، فسكن غضبه ، فبلغ النبي ﷺ

فقال : « لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة ، إنما الطاعة في المعروف »[٩] . وفي رواية : « لا طاعة في معصية الله ، إنما الطاعة في المعروف »[١٠] .

فإذا كنا مأمورين بطاعة أولي الأمر من الأمراء والعلماء ، فيجب أن نعلم أن هذه الطاعة مقتصرة على المعروف ، فلا يجوز الغلو في الطاعة حتى نطيع في المعروف والمنكر .

ولا يجوز التفريط في الطاعة حتى لا نطيع في شيء ، فنحن أمة وسط في كل شيء ، فنسمع ونطيع لأمرائنا وعلمائنا إذا أمرونا بالمعروف ، ولا نطيع إذا أمرونا بمنكر .

إن رجالًا غالوا في علمائهم وشيوخهم حتى دانوا لهم بالسمع والطاعة في كل شيء ، حقًا كان أو باطلًا ، معروفًا كان أو منكرًا ، حلالًا كان أو حرامًا ، حتى صار شعارهم : كن بين يدي شيخك كالميِّت بين يدي المغسِّل . إذا قلت لشيخك لا ، لا تفلح أبدًا . لا تعترض فتنطرد . فسلكوا بذلك سبيل الضالين الذين قال الله فيهم : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١] .

المؤمن الحق لا يؤثر على كلمة الله شيئًا ، والمؤمن باليوم الآخر يهتم بجزاء الآخرة أشدَّ من اهتمامه بحظوظ الدنيا ، وإن كان له هوى في المسألة المتنازع عليها ، فإنه يتركه لحكم الله ابتغاء مرضات الله .

عن عَدي بن حاتم أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣١] ، فقال : إنهم لم يعبدوهم ، فقال : « بلى ! إنهم حرَّموا عليهم الحلال ، وأحلُّوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم »[١١] . نعوذ بالله من الخذلان ، ونسأله الهداية والتوفيق .

ولقد علم الله تعالى أنه لا بدَّ أن يكون تنازع بين المسلمين بعضهم البعض ، أو بينهم وبين أولي الأمر منهم ، فأرشدهم في الآية الكريمة إلى ضرورة المبادرة بحل الخلاف ، والقضاء على النزاع ، لأنه لو دام أدى إلى فشلهم وذهاب دولتهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال : ٤٦] ، وقد كان منهم مخالفة لهذا الأمر في (أُحد) ، فكان فيها ما كان ، وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران :١٥٢] .

فواجب على المسلمين إذا تنازعوا في شيء أن يجدُّوا في القضاء عليه ، وذلك بردِّ المتنازع فيه إلى الله ورسوله أي : إلى كتاب الله ، وسنة رسوله ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى : ١٠] ، فما حكم به الكتاب والسنة ، وشهدا له بالصحة فهو الحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال .

ولقد حضَّ الله على ذلك الردِّ فقال : ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ

وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ [النساء : ٥٩].

فإن المؤمن الحق لا يُؤْثر على كلمة الله شيئًا ، والمؤمن باليوم الآخر يهتم بجزاء الآخرة أشدَّ من اهتمامه بحظوظ الدنيا ، وإن كان له هوًى في المسألة المتنازع عليها ، فإنه يتركه لحكم الله ابتغاء مرضاة الله ، ومثوبته في اليوم الآخر ، وفي هذا الشرط تعريض أو دليل على أن من لا يؤثر اتباع الكتاب والسنة على أهوائه وحظوظ نفسه ، ولا سيما في مقابل المصالح العامة لا يكون مؤمنًا بالله واليوم الآخر إيمانًا يُعتدُّ به .

﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩] ، هذا بيان لفائدة هذه الأحكام: أي : ذلك الذي شرعناه لكم في تأسيس حكومتكم ، وإصلاح أمركم ، أو ذلك الرد للشيء المتنازع فيه إلى الله ورسوله خير لكم في نفسه ، لأنه أقوى أساس لحكومتكم ، والله أعلم منكم بما هو خير لكم ، فلم يشرع لكم إلا ما هو خير لمصالحكم ومنافعكم ، وهو على كونه خيرًا في نفسه أحسن تأويلًا ، أي : أحسن عاقبة ، لأنه يقطع التنازع ، ويسدُّ ذرائع الفتن . ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب : ٤] .

وإلى اللقاء القادم بإذن الله ،

---

(١) البخاري (٧١٤٢/ ١٢١/ ١٣) .
(٢) مسلم (١٨٣٦/ ١٤٦٧/ ٣) ، والنسائي (١٤٠/ ٧) .
(٣) سبق قريبًا .
(٤) البخاري (٧٠٥٣/ ٥/ ١٣) ، ومسلم (١٨٤٩/ ١٤٧٨/ ٣) .
(٥) الترمذي (٦١١/ ٦٢/ ٢) .
(٦) سبق قريبًا .
(٧) في كتابه « الحسبة في الإسلام » ، كما نقله عنه القاسمي في تفسيره (٢٥٧/ ٥) .
(٨) البخاري (٧١٤٤/١٢١/١٣) ، ومسلم (١٨٣٩/١٤٦٩/٣) ، والترمذي (١٧٥٩/١٢٥/٣) ، وأبو داود (٢٦٠٩/٢٩٠/٧) ، وابن ماجه (٢٨٦٤/٩٥٦/٢) ، والنسائي (١٦٠/٧) .
(٩) البخاري (٤٣٤٠/٥٨/٨) ، ومسلم (١٨٤٠/١٤٦٩/٣) .
(١٠) البخاري (٧٢٥٧/٢٣٣/١٣) ، ومسلم (١٨٤٠/١٤٦٩/٣) ، وأبو داود (٢٦٠٨/٢٨٩/٧) ، والنسائي (١٥٩ و ١٦٠/٧) .
(١١) الترمذي (٥٠٩٣/ ٣٤١/٤) .

وعنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ إذا قَامَ إلى الصَّلاةِ يكونُ مِنْ آخِرِ مايقولُ بينَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ : « اللَّهُمَّ اغفرْ لِي مَا قَدَّمتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وما أَسْرَفْتُ ، وما أَنتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ المُقَدِّمُ ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ ، لاإِلَهَ إِلَّا أَنتَ » رواهُ مسلم .

باب السنة

حول الجن وتلبيسه

محمد صفوت نور الدين

- ينعم الجن بالجنة إن
- الجن لا يعلمون الغيب
- أمر الجن من مسائل
- وسوسة الجن ومسه
- يسمى الكثير من الناس قراءة والتسمية الشرعية « رقية »

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . وبعد :

فلقد كثر الجدل حول تلبس الجن بالإنس بين مثبت غالٍ ، واقع في البدعة والشرك ، وبين نافٍ مجحف ، خالف النص ، أو تأوله تأويلًا لا يتحمله ، فوافق المبتدعة ، وشابه المعتزلة ، حتى اختلط على الناس الحق بالباطل في هذا الأمر ، واشتبه عندهم الدجل بالسنة ، وعمل كثير من الناس أمور الشعوذة باسم السنة .

فالحق كثيرًا ما يضيع بين إفراط المُفْرطين ، وتفريط المفرِّطين ، ولقد كثرت الأسئلة حول ما يقوم به بعض الناس من علاج المصروع بالقرآن الكريم ، ويقع الجواب بين مُنْكِر ينكر الحق خوفًا من الوقوع في الباطل ، الذي يتعلق فيه كثير من الناس بغير الله ، ويخوفون من السحرة والمشعوذين . ويقع الأمر بين مفرطين يقولون : إن جيوشًا من كفار الجن يتسلطون على المسلمين ، ويعتبرون أنفسهم في جهاد شرعي مع الجن ، ويقولون : هذه الأعمال من القراءة ، والضرب والخنق ، وعمل الأشربة ، وغيرها عرفنا أثرها بالتجربة في صرفها للجن ، والتجربة خير دليل ، ويسندون أقوالهم بما ينسبونه إلى بعض الأئمة والعلماء ، بل بأحاديث بعضها مقبول ، وبعضها مردود . ولا يتسع المقام لتفصيل طويل ، ولكننا - مستعينين بالله - نذكر بعض الضوابط الهامة لهذا الموضوع الشائك والمتشعب ، والله الهادي إلى الصواب .

كان مؤمنًا صالحًا ، ويعذب بالنار إن كان كافرًا عاصيًا

إنما علم الغيب للّه رب العالمين

الغيب فلا يجوز لنا أن نفصل ما أجمل في القرآن والسنة

وتلبيسه واقترانه بالإنس كل ذلك ثابت في القرآن والسنة

القرآن على المصروع والدعاء له علاجًا

أولًا : الجن مخلوق مكلف مأمور بالعبادة لله رب العالمين

لقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] . خلقهم الله من نار قبل خلق الإنسان : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ وَٱلْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الحجر : ٢٦ ، ٢٧] ، ويقول سبحانه : ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن : ١٥] .

ومن الجن مسلمون وكافرون : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۞ وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن : ١٤ ، ١٥] . والجن يهتدون ويضلون ، ويغلب عليهم الضلال والإضلال . وهي توسوس للناس وتوحي إليهم : ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام : ١١٢] . وهي تُزين الباطل للناس : ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل : ٦٣] . وشياطين الجن ومردة الجن تطلق على الكافر العاتي من الجن .

والجن ينعم بالجنة إن كان مؤمنًا صالحًا ، ويُعذب بالنار إن كان كافرًا عاصيًا . ولا غرابة أن يُعذب الجني المخلوق من النار بالنار في جهنم ؛ لأن الله كما خلق الإنسان من طين ، فجعله خلقًا آخر يعذبه الطين إذا غمس فيه ، أو لطخ به ، أو ضرب به ، كذلك الله خلق الجان من النار ، فصار خلقًا آخر يعذب بالنار إذا دخلها ، والله على كل شيء قدير ، والجن يمكنهم أن يعملوا أعمالًا وصناعات : ﴿ مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴾ [سبأ : ١٣] ، وغير ذلك ، ويمكنهم حمل أشياء ثقيلة مثل عرش بلقيس : ﴿ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾ [النمل : ٣٩] .

والجن لا يعلمون الغيب ، إنما علم الغيب لله رب العالمين ، ومن ادعى علم الغيب من الجن فهو كاذب ، فلقد مات نبي الله سليمان ، والجن لا يعلمون ، مع أنهم في عذاب أليم ، يعملون خوفًا من سليمان ، وهو ميت أمامهم وهم لا يشعرون .

ومن الجن رجال ولهم قلوب وأعين وآذان وأسماع وأبصار : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن : ٦] ، والله يقول : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٧٩] ، ويقول سبحانه : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الجن : ١] ، وقال سبحانه : ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [الجن : ١٣] ، ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّهُ

يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ ﴾ [الأعراف : ٢٧] .

ثانيًا : وسوسة الجن ومسه وتلبيسه واقترانه بالإنس ، كل ذلك ثابت بنصوص القرآن والسنة ، فهم يضلون الإنس كثيرًا ﴿ يَا مَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ... ﴾ [الأنعام : ١٢٨] ، ويقول تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَانُ ﴾ [طه : ١٢٠] ، ، ويقول سبحانه : ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس : ٤ ، ٥] ، ويقول على لسان أيوب عليه السلام : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [ص : ٤١] ، ويقول عز وجل : ﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَانِ ﴾ [الأعراف : ٢٠١] ، ويقول سبحانه : ﴿ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَانُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، ويقول سبحانه : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف : ٣٦] ، ويقول سبحانه : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ [النساء : ٣٨] ، ويقول سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَاطِينَ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم : ٨٣] ، وفي البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعًا : « إن أحدكم إذا قام يصلي جاء الشيطان فلبّس عليه حتى لا يدري كم صلى ... » .

ثالثًا : أمر الجن من مسائل الغيب ، فلا يجوز لنا أن نفصل ما أُجمل في القرآن والسنة ، أو نستنبط من غير دليل منهما ؛ لأنها ليست من الأمور التي تدرك بالحس ، أو تختبر بالتجربة ، أو يستنبط فيها بالملاحظة .

رابعًا : التجربة إنما تصلح في الماديات التي يمكن ضبط عواملها ، والتحكم في متغيراتها . لذا لا يقال : هذا الدعاء نافع بالتجربة ، أو هذه كلمات مجربة ، إنما الفصل هنا للشرع ، فما جاء به هو الصواب ، وإن كانت تجربتك تخالف ذلك ، انظر

نحذر من الرقى الشركية ، التي حوت كلمات غير مفهومة ، لأنها من سبيل الشيطان للتعوذ بالجن ، فاحذرها . وقد أجمع العلماء على جواز الرقية بكلام الله تعالى ، أو اسم من أسمائه ، أو صفة من صفاته ، وباللسان العربي ، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها ، بل بذات الله تعالى .

لحديث البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال : إن أخي استطلق بطنه (وفي رواية : يشتكي بطنه) ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « اسقه عسلًا » ، ثم أتاه الثانية ، فقال : « اسقه عسلًا » . ثم أتاه الثالثة ، فقال : « اسقه عسلًا » ، ثم أتاه ، فقال : فعلت . فقال : « صدق الله وكذب بطن أخيك ، اسقه عسلًا » ، فسقاه فبرأ (وفي رواية : فقال : إني سقيته فلم يزده إلا استطلاقًا ، فقال : « صدق الله ، وكذب بطن أخيك ») .

فتدبر كيف أن التجربة رفضها رسول الله ﷺ عند وجود النص الشرعي ؛ لأنها لا تصلح دليلًا في وجود النص الشرعي . ويمكننا أن نفهم المزيد من ذلك عند مراجعة قصة بريصيص العابد التي ذكرها ابن كثير ، لا لنستدل بها ، ولكن لنفهم كيف أن الشيطان يحتال على العبد ، فيظهر له نتائج تُبهره ليستدرجه فيغويه ، كذلك نتائج تجارب المشعوذين والدجالين ، إنما هي من استدراج الشياطين . اقرأ كذلك ما ساقه ابن كثير في « البداية والنهاية » ، وكذلك ابن القيم في بعض كتبه ،

وما كتبه محمد بن عبد الوهاب في « الكلمات النافعة » في شأن الحيوان يحبس فيه البول ، أو الغائط ، فيطاف به قبور المشركين فيبرأ ، ولا يصلح ذلك دليل صلاح صاحب القبر ، إنما يفسره أهل العلم بأنهم يعذبون في قبورهم ، فيسمع الحيوان صراخه إذا اقترب من القبر ، فيرتاع لذلك ، فتهتز أمعاؤه وأحشاؤه ، فتطرد ما فيها ، فيبرأ ، ولا دليل في ذلك على صلاحٍ ؛ بل هو دليل كفر وشرك وفساد .

خامسًا : يسمي الكثير من الناس قراءة القرآن على المصروع ، والدعاء له يسمونه : علاجًا ، ويسمى فاعل ذلك : معالجًا . وتسمية العلاج التصقت بالطب المادي ، فلا أرى استخدام ذلك الاسم ، إنما يسمى : رقية ، ويسمى : نشرة ، وقال ابن القيم : النشرة : حل السحر عن المسحور ، وهي نوعان : (أحدهما) حل بسحر مثله ، وهو الذي من عمل الشيطان ، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب ؛ فيبطل عمله عن المسحور ، (الثاني) النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة ، فهذا جائز .

فالتسمية الشرعية (الرقية) : هي التي ينبغي أن نطلقها على هذا الدعاء والقراءة ؛ لأن الرقية والطلب من الله يكون في كل وقت ، وعلى كل نفس ، ويمكن للطبيب أن يرقي مريضه ، وللمريض أن يرقي نفسه ، ولأهله أن يرقوه ، ويمكن لغيرهم أن يرقيه ، ولا يشترط في الرقية فحص ولمس ، أو نظر ، وغير ذلك .

أما العلاج فإنه يقتضي تخصيصًا وترتيبًا ونظامًا ، ولم يأت الشرع بذلك .

سادسًا : العلاج يقتضي متخصصين والرقية ليست كذلك ، فإن قيل : إنما يرقي التقي ، فهذه مزلة أقدام ؛ لأن التقوى أمر قلبي لا يطلع عليه العباد ، ولأن الاستجابة لا تكون فقط للدعاء من التقي ، قال رسول الله ﷺ : « اتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » ، ويقول سبحانه : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل : ٦٢] ، ورسول الله ﷺ ، وهو أتقى خلق الله قاطبة ، دعا على أقوام ، فقال له رب العزة سبحانه : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ، ودعا لأقوام ، فقال الله تعالى له : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص : ٥٦] . فالمريض وأهله مضطرون ، والمريض إن ظلمه إنسي ، أو جني ، فهو مظلوم يجيب الله دعاءه ، ويقبل رجاءه .

ودعوى أن الاستجابة تكون للتقي باب للشيطان يغر به كثير من الناس ، فيوقعهم في المعاصي والمخالفات الشرعية ، ويكسبهم غرورًا وكبرًا ، وذلك من أكبر الذنوب . كيف وإبليس لما قال لله عز وجل : ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِي ... قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ... ﴾ [ص : ٧٩ ، ٨٠] ، وإبليس من الكافرين ، وليس من المتقين ، فالغرور الذي يوهم الشيطان به القوم يفضي بهم إلى غضب الله وعذاب النار ، أجارنا الله وإياكم منها .

ما يفعله كثير من الناس من ضرب ، أو خنق ، أو كي ، وإسراف في إستخدام ذلك يخرجون بذلك عن الشرع الذي جاء ، ويستدلون بما لا يصلح لذلك دليلًا ، كقول منسوب للإمام أحمد ، أو ابن تيمية وهم يعلمون أن الضرب أو الخنق ليس هو المؤثر ، إنما المؤثر هو ذكر اللّه سبحانه والدعاء ، ولو كان الضرب مؤثر لكان الرسول ﷺ يأمر من يجلد المصروع لا من يرقيه .

سابعًا : إن للشيطان أولياء يوحي إليهم فيطيعوه . وللشيطان أعداء من طلبة العلم العاملين ، ومن هم في طريق العلم النافع ، والعمل الصالح ، فلما تأذى الشيطان بدعوة هؤلاء للناس ، وهدايتهم بعد غواية تسلط الشيطان على أوليائه ، فوسوس إليهم ولَبَّس ، وأوهمهم بأوهام حتى شغل بهم طلبة العلم ؛ ليخرجهم من عملهم في هداية الناس ، فيوقف عليهم عملهم ، ثم يتسلط بعد ذلك عليهم ، عسى أن يجعلهم من أوليائه ، حتى أن الكثير منهم صدَّق الشيطان ، ومشى وراء زعم الجان ، فوقع في الشرك والدجل من التعليق والذبح وسائر الشركيات ، فليتنبه لذلك ، فنعمل على إرشاد العاصي إلى الطاعة ، والواقع في الشرك إلى التوحيد ، وتارك الصلاة في المساجد أن يصلي في المسجد ، ويعلم الناس سائر واجبات الشرع ، فيعملون بالطاعات ، ويهجرون المعاصي حتى لا يفتن الشيطان بتلك الشبهات ، فيوقع الصالح بتسلطه على العاصي ، ثم يستدرج الجميع ليكونوا له حزبًا وأنصارًا : ﴿ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] . فانظر رعاك الله كيف جعل الشيطان أولياءه شباكًا وشراكًا ، ووسوس إليهم ، فتلاعب بهم ، وصرعهم ليخرج بهم الدعاة المصلحين من دعوتهم ليعبثوا معه فيفتنهم ويفتن بهم .

ثامنًا : الشفاء له سببان : مادي وشرعي والاضطرار إنما يقع في الأسباب المادية ، فقد يضطر الطبيب فيجرح المريض ، أو يستأصل منه عضوًا ، أو يشق له جلدًا ، أو يصف له الدواء المر ، أو يكشف له عورة ، أو يلمس له موضعًا لا يحل له لمسه ، أو ينظر إلى امرأة لا تحل له ؛ لأنه لا سبيل لتشخيص المرض ، أو وصف الدواء ، أو العلاج إلا بذلك ، فهو مضطر ، فيرتكب الضرر الأدنى دفعًا للضرر الأكبر . أما الأسباب الشرعية : فهي دعاء لله ، وطلب منه سبحانه ، وذلك لا يسبب اضطرارًا ، فلا تجوز فيه معصية وإن صغرت ، بل يُحرص فيه على الطاعة التي تعين على رفع الدعاء ، فلا تجوز خلوة بغير ذات محرم ، ولا نظر إليها ، ولا لمس لها ، ولا غير ذلك من المخالفات الشرعية .

الرقية الشرعية دعاء للّه سبحانه ، فلا حاجة عندئذ لمخاطبة الجني ، لأنها باب إلقاء الكذب فيصدق ، وهو كذوب ، فإن كنت راق فلا تستعن إلا باللّه وحده ، واحرص على إخلاص الدعاء ، وصدق التوكل على اللّه سبحانه ، ولا تخاطب الجني ولا تصدقه .

تاسعًا : الرقية الشرعية دعاء لله سبحانه بذكر ومسألة ، وذلك هو الذي يستجيب الله به : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ [الأعراف : ٢٠٠] ، فلا حاجة عندئذ لمخاطبة الجني ؛ لأنها باب إلقاء الكذب فيصدق ، وهو كذوب . وقد يقول الراقي : إنه يستفيد من هذه المخاطبة ، ليتعرف كيف يتغلب على الجني ، فيذهب أثره ، وهذه درجة من درجات التعوذ بهم ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن : ٦] ، فإن كنت راق فلا تستعن إلا باللّه وحده ، واحرص على إخلاص الدعاء ، وصدق التوكل على الله سبحانه . ولا تخاطب الجني ، ولا تصدقه إن أخبرك ، فكم من فتنة أوقعها وفرقة أحدثها ، فكن على حذر من ذلك ، وتمسك بالمشروع ، ولا ترتكب الممنوع .

عاشرًا : ما يفعله كثير من الناس من ضرب ، أو خنق ، أو كي ، وإسراف في استخدام ذلك ، يخرجون بذلك عن الشرع الذي جاء ،

ويستدلون بما لا يصلح لذلك دليلًا ، كقول منسوب للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، أو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى . وهم يعلمون أن الضرب ، أو الخنق ليس هو المؤثر ، إنما المؤثر هو ذكر الله سبحانه والدعاء ، فما لهم ينتقلون من الأعلى إلى الأدنى ، وينتقلون مما يعلم بالشرع نفعه إلى ما يخشى وقوع ضره ، فيتأثر المريض بذلك الضرب والخنق . ولو كان الضرب هو المؤثر لكان النبي ﷺ يأمر من يجلد المصروع لا من يرقيه .

هذه جملة من الضوابط أردت أن أقدم بذكرها نصيحة للناس في هذا الباب الذي كثر فيه التلبيس على الناس ، كما نحذر من الرقى الشركية ، أو التي حوت كلمات غير مفهومة ؛ لأنها من سبيل الشيطان للتعوذ بالجن ، فاحذرها لقول النبي ﷺ : « اعرضوا عليَّ رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك » ، ويقول ابن حجر في « الفتح » : وقد أجمع العلماء على جواز الرقي عند اجتماع ثلاثة شروط : أن يكون بكلام الله تعالى ، أو بأسمائه وصفاته . وباللسان العربي ، أو بما يعرف معناه من غيره . وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها ، بل بذات الله تعالى .

هذا وننبه على حديث لم يصح عن النبي ﷺ حتى لا يغتر الناس به ، وقد أخرجه النووي في كتاب « الأذكار » ، قال : (روينا في كتاب ابن السني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن رجل عن أبيه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إن أخي وجع ، فقال : « وما وجع أخيك ؟ » ، قال : به لمم ، قال : « فابعث به إليَّ » ، فجاء فجلس بين يديه ، فقرأ عليه النبي ﷺ : فاتحة الكتاب وأربع آيات من أول سورة البقرة . وآيتين من وسطها : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [البقرة : ١٦٣ ، ١٦٤] ، حتى فرغ من الآية ، وآية الكرسي ، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة ، وآية من أول سورة آل عمران : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران : ١٨] إلى آخر الآية ، وآية من سورة الأعراف : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] ، وآية من سورة المؤمنون : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون : ١١٦] ، وآية من سورة الجن : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ [الجن : ٣] ، وعشر آيات من سورة الصافات من أولها ، وثلاثًا من آخر سورة الحشر ، وقل هو الله أحد ، والمعوذتين) ، فهذا حديث لا يصح طريقه مظلم بالمجاهيل ، ونختم كلمتنا ببعض الرقى الصحيحة إرشادًا لمن أراد ذلك .

ومنها الرقيا بفاتحة الكتاب ، والمعوذتين ، وسورة الإخلاص ، وآية الكرسي ، بل وكل القرآن الكريم ، أو بعضه ، ومن الرقيا : الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، ومنها : « اللهم رب الناس مذهب البأس اشف أنت الشافي ، لا شافي إلا أنت شفاءً لا يغادر سقمًا » ، ومنها : « بسم الله ربنا تربة أرضنا وبريقة بعضنا يشفى سقيمنا وباذن ربنا » ، ومنها : « أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » ، أخرج ذلك البخاري ، أما مسلم فجاء فيه : « بسم الله يبريك من كل داء يشفيك ، ومن شر حاسد إذا حسد ، وشر كل ذي عين » ، « بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس ، أو عين حاسد الله يشفيك باسم الله أرقيك » ، (وأن يضع يده على الذي تألم من الجسد ويقول : « بسم الله » (ثلاثًا) ، ويقول : « أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » (سبعًا) .

ومما صح من الرقيا أيضًا : « أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك » .

هذه لمحات وملاحظات آمل أن تكون كافية ، والله من وراء القصد .

وكتبه / محمد صفوت نور الدين

الملتقى الثقافي الأول لأنصار السنة وجمعية المستثمرين بالعاشر من رمضان

مع حصاد اليوم الأخير من ملتقى الخير .. على أرض الخير ... في محاولة مستميتة للبحث عن السعادة ...، وعن مصادرها الحقيقية ...، وسط تساؤل الجميع أين السعادة ؟... وقد جاءت الإجابة شافية وقاطعة على لسان الداعية الإسلامي الكبير : فضيلة الشيخ محمد حسان في حديث القلب ... منقبًا عن السعادة ...، وعن مصادرها الحقيقية .. موضحًا أن الإسلام هو المصدر الحقيقي للسعادة ...، وأنه قد ضمن السعادة للبشرية جمعاء ...، كما تحدث عن الإسلام وسعادة الأسرة ...، وأجاب عن كل ما يدور بفكر الحاضرين وتساؤلاتهم ...، وأن المال قد يكون سببًا من أسباب السعادة ...، وعلى الجانب الآخر قد يكون سببًا للتعاسة ... والشقاء ...، وفي السطور التالية نستعرض معًا ما جاء على لسان الداعية ...؛ لنعيش معًا تفاصيل هذا اللقاء :

السعادة في الإسلام

الشيخ محمد حسان :

الكثير منا يظن أن السعادة في جمع المال ، ولكنني أقول ليس كل صاحب مالٍ سعيدًا .

من إعداد :
جمال سعد حاتم

البحث عن السعادة مطلب مُلِحٌّ ، وما من أحد على ظهر الأرض إلا ويبحث عن السعادة ، وهذا ما أكده الداعية الإسلامي الكبير فضيلة الشيخ/ محمد حسان ، في بداية حديثه في الملتقى ، حيث قال : إن السعادة غاية يتفق فيها الخلق على الرغم من اختلاف عقائدهم وعقولهم ومبادئهم وأفكارهم ...، ولكن قد يضل الكثيرون في طريقهم للبحث عن السعادة ، فليس كل مريد للسعادة يستطيع أن يبلغ طريق السعادة ، فربما ينطلق البعض ليبحث عن الماء وسط النيران ..، وعن الحق وسط الباطل ..،

فالكثير منا - يظن أن السعادة في جمع المال ، ونحن لا ننكر أن المال قد يكون سببًا كبيرًا من أسباب السعادة ..، وأحذر من أن يفهم أحد من كلامي أنني أريد أن أقلل من شأن المال .، بل إنني أتألم وأتألم كثيرًا حينما يدندن بعض الدعاة في مسألة الزهد والمال ، ومنهم من يتطاول ليتهم رسول الله ﷺ بالفقر ، ليشعر كل صاحب مالٍ أنه قد ارتكب جرمًا . فلا أقلل من شأن المال ..، ولا من قدره ..، بل إنني على يقين جازم أن المال هو عصب الحياة .

فالمال لا بد منه للسعادة ولأي عمل نافع ، هذا إنْ حركته أيدي الصالحين والشرفاء .. قال رسول الله ﷺ : « إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالًا وعلمًا فهو يتقي فيه ربه ، ويعرف لله فيه حقًّا .. ويصل فيه رحمه .. » فهذا في أعلى المنازل ، أي عند الله جل وعلا ... إلى آخر الحديث .

فلا يمكن لأحد أن ينكر شأن المال ..، ولكنني أقول : ليس كل صاحب مالٍ سعيدًا . فربما ترى الواحد من أصحاب الأموال . قد يلقي في بيته بين يدي زوجته آلافًا مؤلفة من الجنيهات ظنًّا منه أنه بذلك قد وفر السعادة لزوجته ولأبنائه في البيت ..، ظنًّا منه أن هذا هو العطاء ..، وبعد ذلك يرى ابنًا قد انحرف ، ويرى زوجة تئن وتشتكي ..، وربما تصرخ في وجهه في لحظة من اللحظات ..، وهي تقول : إن المال ليس هو كل السعادة ..، وإنما نريد أن نسعد بجلسة معك ....، إنما نريد أن نسعد بنصيحة منك ..، ورحم الله من قال :

ليس اليتيم من انتهى أبواه ..
وخلفاه في هم الحياة ذليلًا
إن اليتيم هو الذي ترى له
أمًّا تخلت أو أبًا مشغولًا

وأذكركم بمثل ذكره الله سبحانه وتعالى في القرآن .. لنتذكر .. وليتذكر بها كل صاحب لب وقلب ..؛ إنها قصة قارون الذي نظر إليه قطاع عريض من الناس ..، وقال : ﴿ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [القصص : ٧٩] ، والنتيجة تعرفونها جميعًا من قوله تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن

فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص : ٨١] .

من هنا ندرك أن السعادة لا يمكن أن تبدأ وتنتهي عند المال فقط ، قد يكون المال سببًا من أسباب السعادة ...، ولكن لا يمكن لأحد أن يتصور أن المال هو المصدر الأوحد للسعادة .

سعادة المنصب والجاه .. في الدنيا والآخرة :

ويردف الشيخ محمد حسان متسائلًا .. أين السعادة إذًا في المنصب .. والجاه والشهرة كما يظن البعض ؟! نعم قد يكون المنصب والجاه سببًا من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة أيضًا ، وذلك إذا عرف صاحب المنصب والجاه .. قدر هذه الأمانة ، ووضع نصب عينيه حديث المصطفى ﷺ الذي رواه مسلم من حديث أبي ذر .. يوم أن انطلق أبو ذر ليطلب من النبي ﷺ الأمانة أو المسئولية ، فضرب النبي ﷺ على كتفه وقال : « يا أبا ذر إنك رجل ضعيف ..، وإنها أمانة .. وإنها يوم القيامة خزي وندامة .. إلا من أخذها بحقها ... وأدى الذي عليه فيها » .

فلو نظر صاحب المنصب وصاحب الجاه إلى هذه الأمانة وأدى الذي عليه فيها .. قد يكون المنصب في هذه الحالة .. سببًا من أسباب سعادته في الدنيا والآخرة ..، وقد يكون على الجانب الآخر .. سببًا من أسباب التعاسة والشقاء في الدنيا والآخرة كذلك ، ولم لا وقد قال النبي ﷺ : « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة » .

الإسلام هو مصدر السعادة الحقيقي

أتمنى أن يتعرف الحكام والعلماء على حقيقة الإسلام حتى لا نخشى الإسلام

إن اللّه يقيم دولة العدل ولو كانت كافرة..، ولا يقيم دولة الظلم وإن كانت مسلمة

حقق منهج اللّه السعادة للبشرية في كل جوانب الحياة

السعادة والنظم الغربية :

وواصل الشيخ حديثه في طريق البحث عن السعادة .. قائلًا : .. قد يظن البعض أن السعادة في الاستغراب وفي نظمه وأفكاره ... وفي أيدلوجياته ...، وأن السعداء بحق هم الذي يدورون في فلك الغرب ، فينسلخون من أخلاق ومبادئ دينهم .. وينسلخون من عاداتهم وتقاليدهم ليطبقوا أحكام ونظم الغرب : من رقي مذهل في الجانب المادي ...، وليس من العدل أن ندفن رءوسنا في الرمال كالنعام ..، ونتجاهل ما وصل إليه الغرب في الجانب المادي ....، وقد انطلق الغرب في أجواء الفضاء ، وغاص في أعماق البحار والمحيطات ، فجَّر الذرة ، وصنع القنبلة النووية ، بل حول العالم كله إلى ما يشبه القرية الصغيرة ؛ عن طريق هذه التقنية المذهلة في عالم الاتصالات والمواصلات ..، ونحن لا ننكر ذلك أبدًا .

تركنا الطيب وتمسكنا بالأسوأ :

وأقول بكل أمانة : كم تمنيت لو نقلت الأمة ما وصل إليه الغرب في الجانب المادي والعلمي ..، ولكن وبكل أسف ..؛ تركنا أطيب ما وصل إليه الغرب ، وتمسكنا بأسوأ ما وصل إليه ...، ولكن هل حققت سبل الرفاهية التي وفرها الغرب باختراعاته لأبنائه السعادة المرجوة ؟! هل حققت له راحة البال واطمئنان النفس ؟! الواقع دائمًا يجيب على هذه التساؤلات ويقول : لا .

ويقف علماء الطب والنفس الآن في دهشة وحيرة ، أمام هذه الحالات المتزايدة للمصابين بالأمراض العصبية والنفسية . بل أمام حالات الانتحار الجماعية .

الإسلام وسر السعادة :

كنت في زيارة لأمريكا في الأيام القليلة الماضية..، وفي إحدى المراكز الإسلامية في لوس أنجلوس بولاية كاليفورنيا ، دخل رجل أمريكي يريد أن يشهر إسلامه . فقيل له : ما سبب إسلامك ؟ فذكر الرجل سببًا عجيبًا وغريبًا حيث قال : أنا صاحب شركات وأموال لا حصر لها ..، وبالرغم من ذلك ما شعرت بالسعادة قط ...

وفي إحدى شركاتي حيث يعمل بها موظف مسلم ..، هذا الرجل كلما دخلت عليه أو قابلته إلا وأحسست بالسعادة والرضى على وجهه ، والابتسامة لا تفارقه أبدًا ..، وعندما سألته عن سر سعادته قال : الإسلام هو سر سعادتي ، وقد علمنا رسول الله ﷺ ذلك بقوله : « عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير : إن أصابته سراء شكر ..؛ فكان خيرًا له ..، وإن أصابته ضراء صبر ؛ فكان خيرًا له . ولا يكون ذلك إلا للمؤمن » ، فقال له الأمريكي : فهل إذا دخلت إسلامكم هذا .. أشعر بالسعادة ، قال : نعم .

لا ينبغي أن نحاسب منهج الله لقصور وقع من بعض المسلمين

ولا ينبغي أبدًا أن نحمل المنهج الأخطاء التي يقع فيها من يحققون وينفذون هذا المنهج

أتمنى أن تنقل الأمة ما وصل إليه الغرب في الجانب المادي والعلمي

الغرب بكل كيانه لا يشعر بالسعادة ، لأنه خال من الإيمان الحقيقي

قال الأمريكي : دلني على الإسلام ، قال : اغتسل فاغتسلت ..، وجاء بي إلى المركز الإسلامي لأشهر إسلامي ..، وبمجرد أن وقف هذا الأمريكي معلنًا إسلامه ونطق بالشهادتين حتى رأيناه يبكي بكاءً هيستيريًا ملفتًا للجميع ...، ولما هدأت نفسه ..، وجفت دموعه ؛ سأله أحدنا ..: ما الذي أبكاك ؟.. قال : والله لقد شعرت الآن بسعادة ما ذقت طعمها قبل اليوم . ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه : ١٢٣ - ١٢٦] .

مما يدلنا على أن السعادة الحقيقية في اتباع منهج الله ، إن السعادة في الإسلام . والغرب بكل كيانه لا يشعر بالسعادة ؛ لأنه خالٍ من الإيمان الحقيقي ... لأنه مقبرة للمبادئ والعدالة ..، ونحن لا نلوم الغرب في

تخطيطه ، ولكن نلوم المسلم المفتون .

أنا لا ألوم الغرب في تخطيطه
لكن ألوم المسلم المفتونا
وألوم أمتنا التي رحلت
على درب الخضوع ترافق التنينا
وألوم فينا نخوة لم تنتفض
إلا لتضربنا على أيدينا
يا مجلس الأمن المخيف إلى متى
تبقى لتجار الحروب رهينًا
وإلى متى ترضى بسلب حُقوقنا
منا وتطلبنا ولا تعطينا
لَعِبت بك الدول الكبارُ فصرت
في ميدانهن اللاعب الميمونا
يا مجلسًا غدا في جسم عالمنا
مرضًا خفيًا يشبه الطاعونا
يا مجلس الأمن انتظر إسلامنا
سيريك أنوار الهدى ويرينا
إني أراك على وشيك نهاية
ستصير تحت ركامها مدفونا
إن كنت في شك فسل فرعون عن
غرقه وسل عن خسفه قارونا

الإسلام وسعادة البشرية :

واستطرد الشيخ محمد حسان قائلًا : إن الإسلام هو مصدر السعادة الحقيقي . وقد آن الأوان لتعود البشرية لمنهج الله الذي ضمن السعادة لها ، فقد حقق بالفعل هذا المنهج السعادة المرجوة .. ، لا لمن امتثل لمنهج الله فحسب .. ، بل لغير المسلمين الذين عاشوا في كنف الإسلام .. ، وتحت راية الحكم الإسلامي .

وأقول بأعلى صوتي لأسمع الدنيا كلها : إن الإسلام دين العدل والإنصاف والرحمة والمساواة ... والخلق .. ، فقد عاش اليهود والنصارى في قمة العدل والأمان في ظل الحكم الإسلامي .. ، وهذه قصة يهودي يسرق درع علي - وهو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين في هذا الوقت - ويقاضي عليًّ اليهودي أمام شريح القاضي ، ويقول شريح لعلي : يا أبا الحسن ، فيغضب أمير المؤمنين . ويقول : أيها القاضي إما أن تكنّي الخصمين معًا ، وإما أن تدع الكنية لهما معًا .. ، ويقف علي إلى جوار خصمه اليهودي .. ، ويشرح للقاضي دعواه قائلًا .. : الدرع درعي .. ، ولم أبع .. ، ولم أهب .. ؛ فيلتفت القاضي إلى اليهودي . ويقول له : ماذا تقول في هذا ؟. فيقول اليهودي : الدرع درعي ، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب .... ، فقال القاضي لعلي : .. هل عندك من بينة . فيقول علي : ليس عندي من بينة .. فيقضي القاضي بالدرع لليهودي . وهو درع علي فينطلق به . ثم يعود ويقول : .. أمير المؤمنين يقاضيني ويقف خصمًا معي .. ويقضي القاضي بالدرع لي دو والله إنها لأخلاق ربي وينطق بالشهادتين . وقا يا أمير المؤمنين : إن الدرع قد سقطت من بعيرك فأخذتها ، وهو درعك ، فقال علي : أما وقد أسلم فهو هدية مني لك .

الإسلام يقيم دولة العدل :

هذا يهودي وذاك قبطي من أقباط مصر يسابق ولد حاكم مصر محمد بن عمرو بن العاص ، ويسبق القبطي ، فيضربه محمد ، ويقول له : خذها وأنا ابن الأكرمين ، ولأن القبطي يعلم يقينًا أنه يعيش في ظل حكم إسلامي .. لا يمكن أبدًا أن يضيِّع حقه .. ، ولو كان على حساب ابن حاكم مصر ، وانطلق من مصر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المدينة المنورة ليشتكي له .. ؛ فيقول له عمر : اجلس هنا ، ويرسل رسالة إلى عمرو يقول فيها : إذا وصلك كتابي هذا . فاركب إليَّ مع ولدك

إذا كان الإسلام قد ضمن السعادة للبشرية . ألا يضمن كذلك سعادة الأسرة ؟!

يجب أن نعلم يقينًا ان الإسلام دين السعادة والرحمة والأمان

آن الأوان للبشرية أن تعود إلى منهج اللّه الذي ضمن لها السعادة

حقق الإسلام السعادة لغير المسلمين الذين عاشوا في كنف الإسلام

عاش اليهود والنصارى في قمة العدل والأمان في ظل الحكم الإسلامي..

محمد ....، فينطلقان إليه حتى يقفا أمام عمر رضي الله عنه فإذا به يدفع الدُّرة إلى القبطي ، ويقول له : اضرب ابن الأكرمين ، فيضربه القبطي ، ثم يقول له عمر : أدر الدرة على صلعة عمرو ، فوالله ما تجرأ عليك ولده إلا لسلطان أبيه . فقال القبطي : لقد ضربت من ضربني . وكفاك الله خيرًا يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : والله لو أدرتها على رأسه ما حلت بينك وبين ذلك . والتفت إلى عمرو ، وقال قولته الخالدة – التي أود أن أصرخ بها في أعماق الدنيا كلها –: يا عمرو متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا ؟!!

هل في لغة البشر ما يستطيع به فصيح بليغ أن يعبر عن هذا الأفق الوضيء ..، وعن هذه الحضارة الرائعة ؟!! لا ورب الكعبة ، فهذا هو إسلامنا .

وأنتم تتذكرون ما فعله صلاح الدين بالصليبيين ..، فلقد مرض ريتشارد قلب الأسد ؛ فطلب من صلاح الدين دواءً وطبيبًا ..؛ فأرسل له صلاح الدين بطبيبه الخاص ، وبدواء من عنده ..؛ في وقت كانت الحروب ملتهبة بينهما .

أتمنى أن يتعرف الحكام والعلماء والمسلمون وكل الدنيا على حقيقة الإسلام ..، حتى لا نخشى الإسلام ، بل لنعلم يقينًا أن الإسلام دين السعادة والرحمة والأمن والأمان .

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية إذ يقول : « إن الله يقيم دولة العدل ، وإن كانت كافرة ...، ولا يقيم دولة الظلم ، وإن كانت مسلمة » .

الإسلام وسعادة الأسرة :

إذا كان الإسلام قد ضمن السعادة للبشرية – والكلام مازال للشيخ محمد حسان – ألا يضمن كذلك سعادة الأسرة ؟!

لقد حقق منهج الله السعادة في كل جوانب الحياة ، لا أقول في الجانب النفسي ، أو العصبي ، أو القلبي أو العقدي ، أو الإيماني ، بل في الجانب الاقتصادي أيضًا .. هل تذكرون اليوم الذي أرسل فيه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ينادي من قبله : .. من كان فقيرًا أو مديونًا فسداد ديونه من بيت مال المسلمين ، من أراد الحج ولا يملك النفقة فحجه من بيت مال المسلمين ، من أراد من الشباب أن يتزوج – ولا يملك الباءة – فزواجه من بيت مال المسلمين ...

هذا وقع في ظل منهج الله ...، ولا ينبغي أبدًا أن نحاسب منهج الله ؛ لقصور أو خلل وقع من بعض المسلمين ، لا ينبغي أن يحمل المنهج الأخطاء التي يقع فيها من يحققون وينفذون هذا المنهج . فمنهج الله في ذاته . مصدر السعادة في الدنيا قبل الآخرة في كل مناحي الحياة .. هذا إن طبقنا الإسلام بكماله وبشموله .

والإسلام قد ضمن للأسرة المسلمة السعادة ، ولكن كيف ذلك ؟ فالأسرة هي أعظم بناءٍ للمجتمع ..، بل هي أعظم بناءٍ في كيان المجتمع بأسره ..، ففي الأسرة يتخرج الأبطال الفاتحون ..: العلماء .. الدعاة ، يخرج منها الصِّدِّيقات .. المؤمنات .. الطاهرات ..، ووالله ما فتح الإسلام الدنيا إلا بهذه المثل العليا والقدوة الطيبة . فيأمر الإسلام الرجل أن يبحث عن الزوجة الصالحة ، ويحث الإسلام المرأة وأهلها أن يبحثوا عن صاحب الدين والخلق . فالركنان الأساسيان لبناء أي أسرة هما الزوج والزوجة .

ولقد جاء الإسلام ليكرم المرأة ، جاء ليكرِّمها زوجة ، وأمًّا وبنتًا ، وقال جل وعلا : ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء : ٢٣] ، وقال جل وعلا : ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان : ١٥] .

وفي حديث أبي هريرة جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحبتي ؟ فقال : « أمك » . قال : ثم من ؟ قال : « أمك » . قال : ثم من ؟ قال : « أمك » .. قال : ثم من ؟ قال : « أبوك » ... فجعل الإسلام بر الأمهات مقدمًا على بر الآباء .. وجاء الإسلام ليكرم المرأة زوجة . وكان يكفي أن يكرم الإسلام المرأة أمًّا .. بل كرمها الإسلام أمًّا وزوجة وبنتًا .

وكرم الإسلام المرأة بنتًا صغيرة ، فالنبي ﷺ قال : « من عال جاريتين حتى تبلغا دخلت أنا وهو الجنة كهاتين » وقرن النبي ﷺ بين السبابة والوسطى .

ولقد جاء الإسلام ليكرم المرأة ، والتي هي العمود الفقري للأسرة المسلمة .. جاء الإسلام ليضمن السعادة للأسرة بالقرآن والسنة . ويجب على الوالدين أن يعلما أنه لا سعادة للأبناء ولا للأسرة .. إلا إذا تربى أبناؤنا ابتداءً على المنهج الرباني الأصيل ..، على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ ، ففيهما السعادة للدنيا والآخرة .

السعادة الحقيقية وأسبابها :

لا شك أن الجميع يعلم يقينًا أن السعادة الحقيقية تتمثل في امتثال منهج الله عز وجل .. في الإيمان بالله والعمل الصالح ....، لا يذوق معنى السعادة إلا المؤمنون العاملون ، قال الله جل وعلا : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] .

ومن أعظم أسباب السعادة الحقيقية .. الاستقامة على منهج الله عز وجل ...، قال الله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٠ – ٣٢] .

فالمستقيم على منهج الله . التائب دومًا من كل ذنب هو الذي يشعر باللذة ..، وهو الذي يشعر بالسعادة ..، وهو الذي يشعر بالطمأنينة والأمن والأمان ..، ومن رحمة الله بهؤلاء أن الله يُنزل لهم الملائكة على فراش الموت . كما قال بعض أهل العلم . بل وحين الخروج من القبور . ففي وقت تَنَزُّل الملائكة على أهل الإيمان والاستقامة قولان : الأول : أن تتنزَّل الملائكة بالبشارة على أهل الإيمان والاستقامة وهم على فراش الموت .. وأن تتنزل الملائكة بالبشارة على أهل الإيمان والاستقامة عند الخروج من القبور .. وثانيًا : الإيمان بالقضاء والقدر ، فالمؤمن مستريح ؛ لأنه يعلم يقينًا أنه ما أصابه لم يكن ليخطئه .. وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه .. فهو مطمئن النفس ، منشرح الصدر .. سعيد القلب يعلم أن كل شيء في هذا الكون إنما هو بقدر الله ...،

عقوبة العصاة كما رآها منامًا الرسول صلى الله عليه وسلم

عن سمرة رضي الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكثر أن يقول لأصحابه هل رأى أحد منكم من رؤيا؟ فيقص عليه ما شاء الله أن يقص.

وقد قال الرسول ﷺ لأصحابه ذات غداة :

« إِنَّهُ أَتَاني اللَّيْلَة آتيان (جبريل وميكائيل) ، وإِنَّهُما ابْتَعَثَانِي (نبهاني من النوم) فَأَخْرَجَاني إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ » .

فقال جبريلُ وميكائيلُ [للرسول ﷺ] : انطلق ....

« وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا ، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ ، فَيُثْلَغُ رَأْسُهُ (يُكسر) فَيَتَدَهْدَه (يتدحرج) الْحَجرُ هَا هُنَا : فَيَتْبَع الْحَجرَ فَيأْخُذه ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رأسُه كما كَان ، ثم يَعُود عَلَيْهِ ، فَيَفْعَل بِهِ مِثْل مَا فعل الْمَرَّة الْأُولى » .

فيقول الرسولُ ﷺ : « سُبْحانَ اللَّهِ ، مَا هَذَا ؟! » .

فيقول جبريل وميكائيل : انطلق ، انطلق ...

« فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاه ، وَإِذا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ ، وإذا هُوَ يَأْتي أحدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ ، فَيُشَرْشِر (يقطع) شِدْقَه إلى قَفَاهُ ، ومِنْخَرَه إلى قَفَاه ، وعَيْنَه إلى قَفاه ، ثم يَتَحَوَّل إلى الجانب الْآخر ، فَيَفْعل به مِثْلَ ما فَعل بالجانب الْأَوَّل قال : فَمَا يَفْرَغُ مِنْ ذلك الْجانب ، حَتَّى يَصِحَّ ذَلك الْجَانِبُ كما كَان ، ثم يعُودُ عَلَيْه ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعل الْمَرةَ الْأُولى » .

فيقول الرسول ﷺ : « سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا هذا ؟ » .

فيقول جبريل وميكائيل : انْطَلِقْ ، انْطَلِقْ ..

« فانطلقنا ، فأتينا على مِثْل التَّنُّورِ : فإذا فيه لَغَطٌ وأصْوات ، فاطَّلَعْنا فيهِ ، فَإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عُراة ، وإذا هم يَأْتيهم لَهَبٌ مِن أسْفَلَ مِنْهم ، فَإذا أتاهم ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا (أخرجوا صوتًا) » .

فيقول الرسول ﷺ : « مَا هؤُلاء ؟! » .

فيقول جبريلُ وميكائيلُ : انْطَلِقْ ، انطلق ..

« فانْطَلَقْنا فأتَيْنا على نَهْر أحمر مثلَ الدَّمِ ، وإذَا في النَّهْر رجلٌ سَابِحٌ يَسْبَح ، وإذَا على شَطِّ النَّهْر رجلٌ قد جَمَع عِنْده حِجارَة كثيرةً ، وإذا ذلك السَّابِحُ يَسْبَحُ ما يَسْبَحُ ، ثُمَّ يَأْتي ذَلِك الَّذي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجارةَ ، فَيَفْغرُ فَاه ، فَيُلْقمه حَجرًا ، فَيَنْطَلِقُ فَيَسْبَحُ ، ثم يَرْجع إليه ، كُلَّما رَجَع إليه فَغرَ (فتح) فَاه ، فَأَلْقَمه حَجَرًا » .

فيقول الرسول ﷺ : « مَا هذان ؟ » .

فيقول جبريل وميكائيل : انْطَلِق ، انطلق ...

« فانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنا ، على رَجُل كَرِيه الْمَرآة (المنظر) ، كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرآةً وَإذ عنده نارٌ يَحشها (يوقدها) ، ويَسْعى حَوْلَها » .

فيقول الرسولُ ﷺ : « مَا هذا ؟ » .

فيقول جبريل وميكائيل : انْطَلِق انطلق ..

« فانْطَلَقْنا فَأَتَيْنا على رَوْضَة مُعْتَمَّة (طويلة النبات) مُعْشِبة ، فيها من كل نَوْر (زهر) الرَّبيع ، وإذَا بَيْن ظَهْرَي الرَّوضة رجلٌ طويل ، لَا أكادُ أَرَى رَأْسَه ، وإذَا حول الرَّجُل مِنْ أكْثر وِلْدان رأيتُهم قَط » .

فيقول الرسول ﷺ : « ما هَذا ، ما هؤُلَاء ؟ » .

فيقول جبريلُ وميكائيلُ : انْطَلِقْ ، انطلق ..

« فانْطَلَقْنا فأَتَيْنا عَلَى رَوْضَةٍ عظيمة لمْ أَر قَطُّ أعْظَمَ مِنْها ولا أحْسن » .

فيقول جبريلُ وميكائيل : ارْقَ .

« فارْتَقَيْنا فيهَا إلى مَدِينَة مَبْنِيَّة بِلَبِن ذَهَب ، ولَبِن فِضَّة ، فأتَيْنا بابَ الْمَدِينة . فاسْتَفْتَحْنَا فَفُتح لنا ، فَدخلْناها فَأَتَيْنا فَتَلَقَّانا رجالٌ شِطرٌ من خَلْقهم كأَحْسن ما أنتَ راءٍ ، وشِطْر مِنْهم كَأَقْبحِ ما أنتَ راءٍ » .

فتقولُ الملائكةُ [لهؤلاء الرجال] : اذْهبوا فَقَعُوا في ذلكَ النَّهْر .

« وإذا نَهْر مُعْتَرِضٌ يَجْري كأنَّ ماءَه الْمَحْضُ مِنَ الْبَياض ، فَذَهبوا فَوَقَعوا فيه ثُمَّ رَجَعُوا إلَيْنا ، وقد ذَهَبَ ذَلِكَ السوءُ عَنْهم ، فصارُوا في أحْسَنِ صُورةٍ » .

وتقول الملائكةُ [للرسول ﷺ] : هَذِه جَنَّة عَدْن ، وهَذاك مَنْزِلُك .

« فَسَمَا بَصَري صُعُدًا (مرتفعًا) ، فإذا قَصْرٌ مثل الرَّبابة البَيْضَاء (السَّحَابَة البيضاء) » .

فيقول جبريل وميكائيل : هَذاكَ مَنْزِلُك .

فيقول الرسول ﷺ : « بارَكَ الله فِيكُما ، ذَرَاني فَأَدْخُله » .

فتقول الملائكة : أمَّا الآنَ فَلا ، وأَنْتَ دَاخِلُه .

فيقول الرسول ﷺ : « فَإنِّي رأيتُ مُنْذُ الليلةَ عَجَبًا ، فَما هَذَا الَّذي رَأَيْتُ ؟! » .

فيقول جبريلُ وميكائيلُ : أمَا إنَّا سنُخْبِرُك :

١ - عقوبةُ تارك القرآن والصلاة : أما الرجل الأول الذي أتيتَ عليه يُثْلَغ (يُكسر) رأسُه بالْحَجَر ، فإنَّه الرجلُ يأخذُ الْقُرآنَ فَيَرْفُضُه ، وينامُ عن الصَّلاة الْمَكْتُوبة .

٢ - عقوبة الرَّجُل الكَذاب : « وأما الرجلُ الذي أتيتَ عليه يُشَرشرُ شِدْقُه إلى قَفاه ، ومِنْخره إلى قَفاه ، وعَيْنه إلى قَفاه ، فإنَّه الرجلُ يَغْدو من بَيْته ، فيكذبُ الْكَذِبَة تبلغ الآفاق » .

٣ - عقوبة الزُّنَاة والزَّوَاني : « وأما الرجالُ والنساءُ العراةُ الذين هم في مِثْل بِنَاء التَّنُّور ، فإنَّهم الزُّنَاةُ والزَّوَاني » .

٤ - عقوبة آكِلِ الرِّبا : « وأما الرَّجُلُ الذي أتيتَ عليه يَسْبَحُ في النَّهْر ، ويُلْقَم الحجارةَ ، فإنَّه آكلُ الرِّبا » .

٥ - وظيفة خازِن جَهَنَّم : « وأما الرجلُ الكريهُ الْمَرْآة الذي عنْد النَّار يَحُشُّها ويَسْعى حَوْلها فإنَّه مالكٌ خازنُ جَهَنَّم » .

٦ - إبراهيمُ وحولَهُ الْأَوْلَاد : « وأما الرَّجُلُ الطَّويلُ الَّذي في الرَّوْضَة فإنَّه إبراهيمُ ، وأما الْوِلْدان الذين حَوْله ، فكلُّ مولودٍ ملتَ عَلى الْفِطْرة » .

فيقول بعض المسلمين [للرسول ﷺ] : يا رسولَ الله : وأولادُ المشركين ؟

فيقول رسول الله ﷺ : « وأولادُ المشركين » .

٧ - الذين تجاوزَ اللَّهُ عنهم : « وأما القَوْمُ الذين كانُوا شَطْر مِنْهُم حَسَن ، وشَطْر مِنْهُم قَبيحٌ ، فإنَّهم قومٌ خَلَطوا عَمَلًا صَالحًا ، وآخر سَيِّئًا تجاوَز اللَّهُ عَنْهُم » .

[رواه البخاري ، انظر فتح الباري ، ج ١٢/ ٤٣٨] .

(**تنبيه** : العناوين السبعة هي من وضع الكاتب للتوضيح) .

من فوائد الرؤيا في الحديث

أن الإسراء : وقع مرارًا يقظة ومنامًا على أنحاء شتى ، (وأن المنام تحقق يقظة ليلة الإسراء) .

وفيه : أن بعض العصاة يعذبون في البرزخ .

وفيه : من تلخيص العلم ، وهو أن يجمع القضايا جملة ، ثم يفسرها على الولاء (الترتيب) ليجتمع تصورها في الذهن .

التحذير من النوم عن الصلاة المكتوبة ، وعن رفض القرآن لمن يحفظه (ترك العمل به) .

التحذير من الزنا ، وأكل الربا ، وتعمد الكذب .

أن الذي له قصر في الجنة لا يقيم فيه وهو في الدنيا ، بل إذا مات ، حتى النبي والشهيد .

الحث على طلب العلم ، واتباع من يلتمس منه ذلك .

فضل الشهداء ، وأن منازلهم في الجنة أرفع المنازل .

أن من استوت حسناته وسيئاته يتجاوز الله عنهم ، اللهم تجاوز عنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

الاهتمام بأمر الرؤيا بالسؤال عنها ، وفضل تعبيرها ، واستحباب ذلك بعد صلاة الصبح ؛ لأنه الوقت الذي يكون فيه البال مجتمعًا .

استقبال الإمام أصحابه بعد الصلاة إذا لم يكن بعدها راتبة ، وأراد أن يعظهم ، أو يفتيهم أو يحكم بينهم .

ترك استقبال القبلة للإقبال عليهم لا يكره ، بل يشرع كالخطيب .

[انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر جـ١٢]

وفي الحديث دليل أيضًا على أن الأولاد الذين ماتوا على الفطرة هم في الجنة ، حتى أولاد المشركين .

رسالة إلى خطيب

بقلم فضيلة الشيخ / وحيد عبد السلام بالي

الحمد لله وكفى ، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى ، وبعد :

فإنَّ الدعوة إلى الله تعالى من أفضل الأعمال ، وكيف لا تكون كذلك

وهي رسالة الرسل والأنبياء ، وطريق المصلحين والعلماء ، لا يقوم الدين إلا بها ،

ولا ينتشر إلا عن طريقها .

الداعي إلى الله قائل بأحسن قول :

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

ولقد بشر الله الدعاة إلى الله بالفلاح في الدنيا والآخرة :

فقال سبحانه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة لازمة لعباد الله المؤمنين :

قال سبحانه : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة : ٧١] .

وحسبك أخي الداعية أنَّ المخلوقات تدعو لك بظهر الغيب :

فقد روى الترمذي بسندٍ جيد عن أبي أمامة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : « إن الله وملائكته ، حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت في البحر ، ليصلون على مُعَلِّم الناس الخير » .

أخي – خطيب الجمعة –: إن خطبة الجمعة لها أهمية كبرى بين وسائل الدعوة المتاحة للدعاة ، فقد يتكاسل الناس عن المحاضرة ، وقد يتخلفون عن الدرس ، لكنهم لا يتخلفون عن الجمعة إلا الذين لا يصلون أصلًا ، لأن المسلمين مأمورون جميعًا بحضور الجمعة . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَى ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ [الجمعة : ٩] .

ولذا فقد تجد أمامك جمعًا غفيرًا من المسلمين ، وربما تجد من بينهم من لا يدخل المسجد إلا يوم الجمعة ، وستجد فيهم الصالح والطالح ، والمفرط والمحافظ ، والمتواضع والمتكبر ، والمتقبل والمعاند .

بل ستجد منهم المتعلم والأمي ، والصغير والكبير ، والذكر والأنثى ، وغير ذلك من فئات المجتمع ، فكيف تخاطب هؤلاء جميعًا بالأسلوب المناسب ، وكيف تستغل

هذا الموقف للأخذ بأيدي هؤلاء جميعًا إلى طريق الله عز وجل .

فبات من الواجب عليك - أخي الخطيب - أن تتعلم فنَّ الدعوة ؛ لتقدم تعاليم الإسلام في أبهى منظر ، وأجمل حُلة .

أسباب نجاح الخطبة :

١- التكلم باللغة العربية الفصحى :

ينبغي على الخطيب أن يحرص على أنْ يلقي خطبته بالفصحى قدر جهده ، لأنها لغة القرآن ، وشعار الإسلام .

والحديث بالفصحى يضفي على خطبتك إشراقًا ، وعلى كلماتك نورًا ، وفي نفوس مستمعيك قبولًا .

٢- التوسط في الإلقاء : ٠

بحيث لا يكون كلامك سريعًا فلا يُفهم ، ولا بطيئًا فيمله السامعون ، ولتعط لكل موقفٍ ما يلزمه ، فإذا احتاج إلى انفعالٍ أسرعت ، وإن احتاج إلى إقناعٍ أبطأت .

٣- الاقتصاد في الخطبة :

فلا تكون طويلة مملة ، ولا قصيرة مخلة ، ولا تكون متشعبة الأفكار ، كثيرة الشواهد ، ركيكة المعاني ، بل موجزة مقتصدة ، وتلك هي السنة ، فقد قال سيد الخطباء ﷺ : « إنَّ قصر خطبة الرجل ، وطول صلاته ؛ مَئِنَّة من فقهه » رواه مسلم ؛ لأن القصر والإيجاز وإيصال المعنى من أقرب طريق ؛ دليل على الفصاحة والعلم والفقه .

٤- ربط الخطبة بالواقع :

عليك أن تتحسس مشاكل مدينتك وتعالجها من فوق أعواد منبرك ، تعايش الناس وتترك المنبر يجيب على تساؤلاتهم ، فحينما تكون خطبتك منتزعة من الواقع تكون أقرب إلى قلوبهم وأوقع في نفوسهم .

٥- المخاطبة على قدر الفهم :

فلا تخاطب العوام بمنطق علمي مرتفع ، ولا المتعلمين المثقفين بمنطق بدائي ممجوج ، بل تخاطب الناس على قدر عقولهم وعلومهم .

٦- الترفع عن الغلظة في القول والبذاءة في اللسان :

فلا تحقر مستمعيك ، ولا تقلل من شأنهم ، ولا ترميهم بالجهل وقلة الفهم ، ولا تقذفهم بالفسق والفجور ، أو غير ذلك مما لا يليق بمكانة الداعية - حتى لو كانوا كذلك - بل تلطف بهم في الحديث ، وترفق بهم في القول .

قال تعالى مبينًا سبب اجتماع الناس حول النبي ﷺ : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وقال تعالى مرشدًا للطريقة المثلى في الدعوة : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

٧- استثارة هِمم المدعوين بما يفتح قلوبهم :

كأن تخاطبهم بـ (يا أخوة الإسلام) ، (يا أيها المؤمنون) ، (يا من آمنتم باللَّه ربًّا ، وبمحمد نبيًّا ، وبالإسلام دينًا) ، وما شابه ذلك مما يفتح قلوبهم ، ويقرب نفوسهم ، فإن المحبة مفتاح القلوب .

فهذا إبراهيم عليه السلام يذكِّر أباه برابطة الأبوة أثناء دعوته ، فيقول : ﴿ يَا أَبَتِ .... ﴾ [مريم : ٤٢] ، ويكررها كثيرًا .

وهذا لقمان يذكِّر ابنه برابطة البنوة ليكون أدعى لقبول الموعظة ، فيقول : ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ .... ﴾ [لقمان : ١٣] .

وهذا هود يذكِّر قومه برابطة القرابة فيقول : ﴿ يَا قَوْمِ ... ﴾ [هود : ٥٠] .

وربنا تبارك وتعالى يذكِّر المؤمنين بإيمانهم ؛ ليردهم وازع الإيمان إلى الاستجابة والطاعة ، فيقول سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ .... ﴾ [البقرة : ١٥٣] .

٨- الابتعاد عن الحركات الكثيرة :

ينبغي أن تتسم بالاتزان أثناء الإلقاء ، فلا تتحرك ، أو تشير إلا في الموقف الذي يدعو إلى ذلك ، وعليك بتجنب الحركات التي تسقط هيبتك من أعين الناس : مثل كثرة بلع الريق ، وفتل الأصابع ، والسعال المتكلف ، وكثرة الالتفات ، وما شابهها .

٩- حسن المظهر :

ينبغي أن تصعد المنبر بالمظهر اللائق بالداعية ، فلا تلبس ثيابًا رثة ، أو ممزقة ، ولا تلبس ثياب المترفين الرقيقة الشفافة .

فعليك أن تكون نظيف الثياب من غير تبرج ، طيب الرائحة من غير إسراف ، مهيب المنظر من غير تكلف .

١٠- التحضير الجيد للخطبة :

لا تصعد المنبر إلا وقد حددت موضوعك ، ورتبت أفكارك وانتقيت ألفاظك ، حتى لا ترتج عليك العبارات ، وتستعجم عليك الكلمات ، فلا تتمكن من تبليغ دعوة مولاك .

ولا بأس بأن تستمع إلى أشرطة الخطباء المشهورين ، والوعاظ المبرزين لتتدرب على طرق الإلقاء ، ووسائل التأثير ، وأساليب الإقناع .

١١ - ألا تصعد المنبر وأنت ممتلئ المعدة :

لأنه إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وكسلت الأعضاء عن العبادة .

وقال محمد بن واسع : من قل طعامه فهم وأفهم ، وصفا ورق ، وإنَّ كثرة الطعام ليثقل صاحبه عن كثير مما يريد .

وقال الشافعي : الشِّبع يثقل البدن ، ويزيل الفطنة ، ويجلب النوم ، ويضعف صاحبه عن العبادة .

تلكم هي أسباب نجاح الخطبة ، فاحرصوا عليه إخواني الخطباء ، وكونوا منها على ذكرٍ دائمًا ، وأسأل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه .

وحيد بالي

أحمد والبخاري : عن البراء – رضي الله عنه – قال : جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد – وكانوا خمسين رجلًا – عبد الله بن جبير – رضي الله عنهم . ووضعهم موضعًا وقال : « إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم . وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم » فهزموهم . فأنا والله رأيت النساء يشتدون على الجبل . وقد بدت سوقهن رافعات ثيابهن : فقال أصحاب عبد الله : الغنيمة أي قوم . الغنيمة ظهر أصحابكم . فما تنظرون ؟ قال عبد الله : أنسيم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ قالوا : إنا والله لنأتينَّ الناس فلنصيبنَّ من الغنيمة . فلما أتوهم صُرِفَتْ وجوههم فأقبلوا منهزمين . فذلك الذي يدعوهم الرسول في أُخراهم . فلم يبق مع الرسول ﷺ غير اثنى عشر رجلًا . فأصابوا منَّا سبعين رجلًا . وكان الرسول وأصحابه أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة . سبعين أسيرًا . وسبعين قتيلًا .

بقلم العلامة الشيخ **محمد ناصر الدين الألباني**

« ألا دخلت في الصف ، أو جذبت رجلًا صلى معك ؟! أعد الصلاة » .

ضعيف جدًّا .

أخرجه ابن الأعرابي في « المعجم » ، وأبو الشيخ في « تاريخ أصبهان » ، وأبو نعيم في « أخبار أصبهان » من طريق يحيى بن عَبدَوَيْه : حدثنا قيس بن الربيع عن السُّدِّي عن زيد بن وهب عن وابصة بن معبد :

(**أن** رجلًا صلى خلف الصف وحده ، فقال له النبي ﷺ) . فذكره .

قلت : ولكن إسناده واهٍ جدًّا ، فلا يصلح للشهادة ، فإن قيسًا ضعيف ، وابن عَبدَوَيْه أشد ضعفًا منه ، كما بينته في المصدر المشار إليه آنفًا ، فأغنى عن الإعادة ، فإعلال الحافظ إياه بقيس وحده قصور . وأفاد أن الطبراني أخرجه أيضًا في « الأوسط » فرفعه السَّرِيُّ بن إسماعيل وهو متروك . وأما الهيثمي فعزاه لأبي يعلى من طريق السري هذا ، وهو في « مسنده » (٢/٤٤٥) .

(فائدة) : إذا ثبت ضعف الحديث ، فلا يصح حينئذٍ القول بمشروعية جذب الرجل من الصف ليصف معه ، لأنه تشريع بدون نص صحيح ، وهذا لا يجوز ، بل الواجب أن ينضم إلى الصف إذا أمكن ، وإلا صلى وحده ، وصلاته صحيحة ؛ لأنه ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

وحديث : الأمر بالإعادة محمول على ما إذا قصر في الواجب ، وهو الانضمام إلى الصف وسد الفرج . وأما إذا لم يجد فرجة ، فليس بمقصر ، فلا يعقل أن يحكم على صلاته بالبطلان في هذه الحالة ، وهذا هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية ، فقال في « الاختيارات » (ص ٤٢) :

(**وتصح** صلاة الفذ لعذر ، وقاله الحنفية ، وإذا لم يجد إلا موقفًا خلف الصف . فالأفضل أن يقف وحده ، ولا يجذب من يصافه ، لما في الجذب من التصرف في المجذوب ، فإن كان المجذوب يطيعه ، فأيهما أفضل له وللمجذوب ؟ الاصطفاف مع بقاء فرجة . أو وقوف المتأخر وحده ؟ وكذلك لو حضر اثنان ، وفي الصف فرجة ، فأيهما أفضل ؟ وقوفهما جميعًا أو سد أحدهما الفرجة ، وينفرد الآخر ؟ الراجح

(*) التخريج من الضعيفة ج٢ .

الاصطفاف مع بقاء الفرجة ، لأن سد الفرجة مستحب . والاصطفاف واجب) .

قلت : كيف يكون سد الفرجة مستحبًّا فقط ، ورسول الله ﷺ يقول في الحديث الصحيح : « من وصل صفًّا وصله الله ، ومن قطع صفًّا قطعه الله »[1] ! فالحق أن سد الفرجة واجب ما أمكن ، وإلا وقف وحده لما سبق . والله أعلم .

(**تنبيه**) : هذا الحديث لم يورده السيوطي في « الجامع الكبير » البتة !!

« اللهم اجعلني صبورًا ، اللهم اجعلني شكورًا ، اللهم اجعلني في عيني صغيرًا ، وفي أعين الناس كبيرًا » .

منكر .

رواه الديلمي في « مسند الفردوس » (١٩١/٢/١) ، وذكره ابن أبي حاتم في « العلل » (١٨٤/٢) كلاهما من طريق عقبة بن عبد الله الأصم عن ابن بريدة عن أبيه : « أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال : علمني دعوة ، فقال .. » فذكره . وقال ابن أبي حاتم عن أبيه :

(**هذا** حديث منكر لا يعرف ، وعقبة لين الحديث) .

والحديث أورده الهيثمي في « المجمع » (١٨١/١٠) من دعائه ﷺ لا من تعليمه ، وقال : « رواه البزار ، وفيه عقبة بن عبد الله الأصم ، وهو ضعيف ، وحسن البزار حديثه » .

قلت : ولعل تحسين البزار لحديثه يعني حديثًا خاصًّا غير هذا ، وأراد الحسن المعنوي لا الاصطلاحي ، فقد قال هو نفسه في عقبة هذا :

(**غير** حافظ ، وإن روى عنه جماعة فليس بالقوي) .

وقال ابن حبان (١٨٨/٢) :

(**كان** ممن ينفرد بالمناكير عن الثقات المشاهير ، حتى إذا سمعها مَنْ الحديث صناعته شهد لها بالوضع) .

---

(١) انظر « المشكاة » (١١٠٢) .

(٢) يعني قولهم - كما ذكره في « السيرة » قبيل هذا الحديث -: « يا أبا طالب إن لك سنًّا وشرفًا ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا لا نصبر على هذا : من شتم آلهتنا حتى تكفه عنا ، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين » .

« مصر كنانة الله في أرضه ، ما طلبها عدو إلا أهلكه الله » .

لا أصل له .

أورده السخاوي في « المقاصد » (١٠٢٩) وقال :

(**لم** أره بهذا اللفظ في مصر ، ولكن عند أبي محمد الحسن بن زولاق في « فضائل مصر » له بمعناه ، ولفظه :

« **مصر** خزائن الأرض كلها ، من يردها بسوء قصمه الله » .

وعزاه المقريزي في « الخطط » لبعض الكتب الإلهية . قلت : وابن زولاق هذا لا أعرف عنه شيئًا ، ولا عن كتابه ، وهل هو على طريقة المحدثين في سوق الأحاديث بالأسانيد ؟ أم هو على طريقة المتأخرين في ذكر الأحاديث تعليقًا بدون إسناد ؟ فإذا كان الأول ، فلا أدري لماذا سكت عليه الحافظ السخاوي ، ولقد كان من الواجب عليه أن يسوق إسناده على الأقل ؛ ليمكن النظر فيه والحكم على الحديث به ، وإذا كان يغلب على الظن أنه لا يصح ، بل هو مأخوذ من بعض أهل الكتاب ، كما أشار إلى ذلك المقريزي ، فهو مثل حديث : « الشام كنانتي » .

« الجيزة روضة من رياض الجنة ، ومصر خزائن الله في الأرض » .

موضوع .

أخرجه أبو نعيم في « نسخة نُبَيْط بن شَرِيط » (ق٢/١٥٨) عن أحمد بن إبراهيم بن نبيط بن شريط أبي جعفر الأشجعي قال : حدثني أبي إسحاق بن إبراهيم بن نُبيط قال : حدثني أبي إبراهيم بن نبيط عن جده نبيط بن شريط مرفوعًا .

وأورده السيوطي في « ذيل الأحاديث الموضوعة » (ص٨٧) من طريق أبي نعيم ، ثم قال :

(**قال** في « الميزان » : أحمد هذا حدث عن أبيه عن جده بنسخة فيها بلايا ، منها هذا الحديث ، لا يحل الاحتجاج به فإنه كذاب) .

وأقره ابن عراق في « تنزيه الشريعة » (٢/٥٧) ، وذكر العجلوني هذا الحديث في « كشف الخفاء » (ص٢١٢) وقال :

(**قال** في « اللآلئ » : كذب) . والله أعلم .

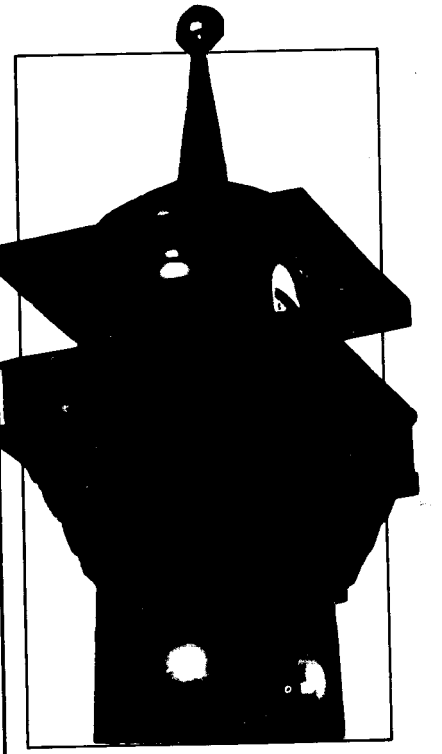

الفتاوى الميسرة

إعداد
لجنة الفتوى
بالمركز العام
رئيس اللجنة
محمد صفوت نور الدين
أعضاء اللجنة
صفوت الشوادفي
د. جمال المراكبي

التكبير في الخفض والرفع لسجود التلاوة في الصلاة

يسأل ع.م.م من بني مزار بالمنيا

سؤال عن سجود التلاوة في الصلاة هل يكبر لها ؟

الجواب : قال السرخسي في « المبسوط » : ويكبر لسجدة التلاوة إذا سجد وإذا رفع رأسه .

وقال الشيرازي في « المهذب » : فإن كان في الصلاة سجد بتكبير ورفع بتكبير .

وقال النووي في « المجموع » : يستحب أن يكبر في الهوي إلى السجود ، ولا يرفع اليد ؛ لأن اليد لا ترفع في الهوي إلى السجود ، ويكبر عند رفعه رأسه من السجود ، كما يفعل في سجدات الصلاة ، وهذا التكبير سنة وليس بشرط . وفيه وجه لأبي . علي بن أبي هريرة . حكاه الشيخ أبو حامد وسائر أصحابنا عنه : أنه لا يستحب التكبير للهوي ولا للرفع ، وهو شاذ ضعيف .

وفي « المغني » : قال الخرقي : (ويكبر إذا سجد) وقال الشارح : وجملة ذلك أنه إذا سجد للتلاوة فعليه التكبير للسجود والرفع منه ، سواء كان في الصلاة أو في غيرها ، وبه قال ابن سيرين والحسن وأبو قلابة والنخعي ومسلم بن يسار وأبو عبد الرحمن السلمي والشافعي وإسحاق وأصحاب الرأي .

وقال مالك : إذا كان في الصلاة ، واختلف عنه إذا كان في غير الصلاة .

مما سبق نرى اتفاق أصحاب المذاهب الأربعة على التكبير في الخفض والرفع لسجود التلاوة في الصلاة ؛ لعموم ما ثبت عنه ﷺ أنه يكبر كلما خفض وكلما رفع ، وإنما وقع الخلاف في التكبير

في غير الصلاة ، وهو الذي قال عنه ابن تيمية والمروي فيها عن النبي ﷺ تكبيرة واحدة ، أي : لسجود التلاوة في غير الصلاة ، والله أعلم .

في *رسالة عن مصلين في مسجد يسألون :*

ما *حكم الصلاة وراء إمام يكرهه المأمومون ؛ لمخالفاته الشرعية التي لا تتفق وتعاليم الإسلام ؟*

والجواب : قال الترمذي : كره قوم من أهل العلم أن يؤم الرجل قومًا وهم له كارهون ، فإذا كان الإمام غير ظالم فإنما الإثم على من كرهه . وقال أحمد وإسحاق في هذا : إذا كره واحد أو اثنان أو ثلاثة فلا بأس أن يصلي بهم حتى يكرهه أكثر القوم ، (ثم قال الترمذي :) قال منصور : سألت عن أمر الإمام ؟ فقيل لنا : إنما عني بهذا أئمة ظلمة ، وإن كان من أئمة السنة فإنما الإثم على من كرهه .

وفي الحديث عند الترمذي عن أبي أمامة مرفوعًا : « ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم : العبد الآبق حتى يرجع ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، وإمام قوم وهم له كارهون » .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : إن كانوا يكرهون هذا الإمام لأمر في دينه مثل كذبه أو ظلمه أو جهله أو بدعته ونحو ذلك ، ويحبون الآخر لأنه أصلح في دينه منه ، مثل أن يكون أصدق وأعلم وأدين ؛ فإنه يجب أن يولى عليهم هذا الإمام الذي يحبونه ، وليس لذلك الإمام الذي يكرهونه أن يؤمهم (انتهى) .

معلوم أن هذا الوعيد بعدم رفع الصلاة خاص بالإمام ، ولا ينطبق ذلك على المأمومين لمجرد أنهم صلوا خلفه ، وكذلك الأمر بعدم توليته الإمامة خاص بالمطاع الذي بأمره يتم الحل والعقد ، ولا يتعلق ذلك بعوام الناس ، إنما يبرأ عوام الناس إذا عملوا بما أمرهم الله ورسوله ونصحوا لأولياء الأمور في ذلك .

حكم الإمام إذا سها فصلى خمس ركعات في صلاة رباعية .

يسأل الأخ محمد يعقوب من غانا عن حكم الإمام إذا سها فصلى خمس ركعات في صلاة رباعية ؟

والجواب : يقول صاحب المغني : إن كان الإمام على يقين من صوابه وخطأ المأمومين : لم يجز له متابعتهم . وقال أبو الخطاب : يلزمه الرجوع إلى قولهم . كالحاكم يحكم بالشاهدين ويترك يقين نفسه وليس بصحيح . فإن يعلم خطأهم فلا يتبعهم في الخطأ

وليس للمأمومين اتباعه . فإن اتبعوه لم يخل من أن يكونوا عالمين بتحريم ذلك أو جاهلين به . فإن كانوا عالمين بطلت صلاتهم لأنهم تركوا الواجب عمدا . وقال القاضي : في هذا ثلاث روايات : إحداها أنه لا يجوز لهم متابعته . ولا يبرمهم

انتظاره إن كان ناسيًا في زيادة يأتي بها ، وإن فارقوه وسلموا صحت صلاتهم ، وهذا اختيار الخلال ، والثاني : يتابعونه في القيام استحسانًا ، والثالث : لا يتابعونه ولا يسلمون قبله ، لكن ينتظرونه ليسلم بهم ، وهو اختيار ابن حامد ، والأول أولى ؛ لأن الإمام مخطئ في ترك متابعتهم ، فلا يجوز اتباعه على الخطأ ، والحال الثاني إن تابعوه جهلًا بتحريم ذلك فإن صلاتهم صحيحة ؛ لأن أصحاب النبي ﷺ تابعوه في التسليم في حديث ذي اليدين والخامسة في حديث ابن مسعود ولم تبطل صلاتهم .

قال النووي في « المجموع » : لو كان المأموم مسبوقًا بركعة أو شاكًا في فعل ركن كالفاتحة فقام الإمام إلى الخامسة لم يجز للمسبوق متابعته فيها لأنا نعلم أنها غير محسوبة للإمام وأنه غالط فيها .

على ذلك فعلى المأمومين تذكير الإمام إذا أخطأ .

الاكتفاء بذكر الصحيح من دين اللّه خير وأبرك .

ويسأل *الأخ محمد جمعة الديسطي عن بعض الكتب الدينية التي صنفها رجال لا علم لهم بالدين اللهم إلا بعض الحكايات الباطلة والمنسوجة . لماذا لا نحذر منها ، وذكر أمثلة لها ؟*

والجواب في مسائل :

أولًا : نحن نعرِّف بالحق من القرآن والسنة : بفهم السلف من الأمة : الصحابة والتابعين ، ومن سار على نهجهم ، وذلك يكون بمثابة التحصين للمسلم الذي يطالع ويقرأ ؛ فيحصنه الله بذلك العلم ، والاكتفاء بذكر الصحيح من دين الله خير وأبرك .

ثانيًا : أن الله عز وجل قال : ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] يقول القرطبي : وفيها دليل على أن المحق قد يكف عن حق له إذا أدى إلى ضرر يكون في الدين .

ثالثًا : أن في ذكر أصحاب الباطل بأسمائهم وكتبهم ترويج لفكرهم وتعريف بهم وهم مغمورون ، فإن كان السائل – أكرمه الله – قد اطلع على مثل هذه الكتب فهي بالنسبة إلى غيره مجهولة ، والتعريف بها تعريف بشرٍّ ، والقاعدة تقول : (اذكر الخير فينتشر ، ولا تذكر الشر فيندثر) .

رابعًا : الرد على أهل الباطل إنما يكون عندما تترجح منفعته للدعوة بقدر ما يحقق المصالح ويدفع المفاسد .

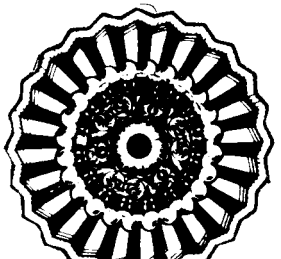

دواء الرياء وعلاجه في تصحيح الاعتقاد ، ودوام المراقبة .

ويسأل *الأخ محمد محمد أبو سمرة من عزبة اللحم - بدمياط .*

كيف *يتخلص الإنسان من داء الرياء ، والإنسان بطبعه يحب الظهور والمدح ؟*

والجواب : اعلم أيها الأخ الكريم ؛ أن دواء الرياء وعلاجه في تصحيح الاعتقاد ، ودوام المراقبة ، فإن العبد إذا عرف ربه رقيبًا ؛ وعرفه عليمًا محيطًا ، وعرف أن الخير والضر لا يملكه غيره ، وأن كل من سوى الله فهو من جملة الأسباب ، إن شاء الله جلبها ، وإن شاء صرفها .

ومعرفة الله تكون بالعلم والذكر والتدبر في الآلاء والخلق ، والتعرف على قصص السابقين ، واليقين بالوعد والوعيد ، كل ذلك يُعرف العبد بربه ، فيجعله يراقبه ويعمل لوجهه ، ويطلب المنزلة عنده ، ويهون الخلق عليه .

وللمدح والحب وتلذذ القلب بهما أسباب : الأول : شعور النفس بالكمال ، والثاني : طلب العلو في قلوب المادحين ، والثالث : الاستحواذ على قلوب السامعين .

والسبب الأول يزول إذا علم الممدوح أنه غير صادق في قوله ، فتزول اللذة التي سببها الشعور بالكمال . أما لذة الاستيلاء على قلبه ولسانه ، ولذة الاستحواذ على القلوب فتزول إذا علمت أن المادح لا يعتقد بما يقوله .

والرياء محبط للعمل ، وعلاجه يكون باستئصال عروقه وأصوله التي يتفرع منها ، ثم دفع ما يخطر منه على القلب . فإذا كان أصل الرياء في حب المدح والفرار من الذم والطمع فيما عند الناس ، فإذا عرف العبد ربه مطلعًا بصيرًا ، وعرف أنه يضع المحبة في قلوب الخلق لمن أحبه ، وأن الخلق لا ينفعون إلا بما كتبه الله سبحانه ، ولا يضرون إلا بما قدره سبحانه ، فالعبد يتزين في أعين الخلق ليحصل منهم على مدحٍ قدره الله ويدفع عنه ذمًّا لم يقدره الله ، وهو يعتقد أن ما قدره الله كان !

والشيطان عدو الإنسان يوسوس له بالخواطر التي يفعلها ليراه الناس ، فلو علم اطلاع الله عليه دائمًا ، وأن الخلق لا يقدرون إلا على ما كتبه الله لنفض يده من الخلق وصدق التوجه لله سبحانه .

ثم اعلم أيها الأخ الكريم ! أن الله سبحانه ما حرم شيئًا إلا وفتح من الأبواب

الحلال ما هو خير منه وأكثر بركة ، فإن الله لما نهى عن حب الرياء والسمعة فإنه يحب أن يرى عبده في طاعته ، فيجعل خير عبادة له ما كانت خفية عن الخلق كالصلاة في جوف الليل ، والصدقة في السر ، وإخلاص القلب ، والدعاء بظهر الغيب وغير ذلك ، فإذا علم الله ذلك من عبده أحبه وأحبه جبريل وأهل السماء ، وكان في الأرض مقبولًا ففي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : « إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل : إن الله يحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل ، فينادي جبريل في أهل السماء : إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض » ، والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم : ٩٦] .

فانظر أيها الأخ الكريم ! كم عوض الله المخلصين ، وتدبر أنه لم يفقد ما زهد فيه من مدح الناس حتى رده الله إليه حلالًا وزاد فيه أضعافًا كثيرة عطاءً من الله رب العالمين ، وذلك جزاء المخلصين ، وفي الآخرة جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، والله أعلم .

ردود سريعة

السائل *عبد المحسن محمد السيد رضوان من القاهرة .*

لكل عمل صالح شرطان هما : الإخلاص ، والمتابعة . ومعنى الإخلاص : أن تقصد وجه الله بلا رياء ولا سمعة . والمتابعة أي : أن يكون العمل كما جاء به الشرع وسنة رسول الله ﷺ . وذلك هو مفهوم الشهادتين (لا إله إلا الله . محمد رسول الله) .

السائل *أحمد علي عطية - كفر المقدام - ميت غمر - دقهلية .*

شركات التأمين التي تقوم بالتأمين على الحياة عقودها ربوية محرمة ، فلا يجوز التعامل معها في ذلك . وقد صدرت فتاوى عديدة من دار الإفتاء المصرية بتحريم ذلك .

السائل *مصطفى إبراهيم مخيمر من طبلوها - منوفية .*

السحر من أكبر الكبائر ، فلا يجوز عمله ، وحد الساحر قتله ، ويقوم بالحد ولي الأمر ، وعلى أهل العلم تبصير الناس بدينهم ، ونصحهم بضرورة الإخلاص في السر والعلن .

السائل *أحمد هاشم - فارسكور - دمياط .*

وتسأل ف.أ.م من ميت حديد – دقهلية : *عن زوجها يلزمها بلبس النقاب وهي تحس بضيق من لبسه ؟*

والجواب : إن طاعة المرأة لزوجها واجبة ، ومعصيته محرمة ، إلا أن يأمرها بما حرم الله تعالى ، فالزوج باب الجنة للمرأة إذا أرضته ، وسخطه عليها باب النار ، والطاعة إنما تكون في المعروف ، أما إذا أمرها بمعصية فلا طاعة له .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : « إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحصنت فرجها ، وأطاعت زوجها ؛ قيل لها : ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت » .

وعن أبي أمامة مرفوعًا : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرًا له من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله » .

ومعلوم أن النقاب مشروع ، وقد أمرها الزوج بما جاء به الشرع ؛ فصارت طاعته واجبة ، وأما عن ضيقها الذي تحس به ؛ فهو من وسوسة الشيطان ، فإن فعلت الأمر لله ، وأكثرت من ذكر الله وطاعته ، وراقبت ربها في زوجها ونفسها ؛ أعانها الله ورفع عنها الضيق ، ووسع عليها في حياتها الدنيا ، وكذلك في الآخرة ، والله أعلم .

النية في الصلاة وسائر الأعمال محلها القلب ، فلا يجهر المصلي ولا غيره بالنية ؛ لأنها عمل قلبي .

السائل *ع.س.أ – القاهرة – الألف مسكن – منشية الزهراء .*

الطلاق من مسائل القضاء ، وليس من مسائل الإفتاء ، فلا بد من مثولك أمام من تعلم أنه من أهل الفتوى ، لتسأله مباشرة .

والطلاق الصريح لا يحتاج إلى نية ، وليس كل غضب يسمى إغلاقًا ، إنما الإغلاق : الإكراه الذي يمنع صاحبه الاختيار .

السائلة *ع.ح.م من العمرانية – جيزة .*

اتصال الخاطب بمخطوبته بالهاتف في كلام مباح جائز شرعًا لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

وكذلك كتابة الرسائل ويجب أن يعرف بذلك ولي المرأة .

السائل *ش.أ.ع – جيزة .*

الشيطان يزين للعبد النظرة المحرمة ، فعليك بالعلم والرفقة الصالحة ودوام الذكر والمحاسبة للنفس ، وأن تعرف الله مطلعًا رقيبًا ، وتتذكر العرض على رب العالمين ، وقول الله سبحانه : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧ ، ٨] .

السائل *محمود محمد حسين .*

الخل طاهر ، وخلطه بغيره من الطعام لا يفيد كراهة ولا تحريمًا ، إلا إذا أدى إلى ضرر لحديث : « لا ضرر ولا ضرار » . ورش الثمار بما يسرع من نضجها حلال ، إلا أن يسبب ضررًا أو ينطوي على غش في الثمار أو لبس على الناس جيد برديء .

العمل بالرؤية في إثبات الأهلة لا بالحساب الفلكي

بالنسبة للوضع في الأماكن مثل سنغافورة وبعض مناطق آسيا حيث تكون سماؤها محجوبة بما يمنع الرؤية . فإن للمسلمين في تلك المناطق أن يأخذوا بمن يثقون به من البلاد الإسلامية التي تعتمد على الرؤية البصرية للهلال دون الحساب بأي شكل من الأشكال .

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد :

إن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي قد اطلع في دورته الرابعة المنعقدة بمقر الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة في الفترة ما بين السابع والسابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٤٠١هـ . على صورة خطاب جمعية الدعوة الإسلامية في سنغافورة المؤرخ في ١٦ شوال ١٣٩٩هـ . الموافق ٨ أغسطس ١٩٧٩م الموجه لسعادة القائم بأعمال سفارة المملكة العربية السعودية هناك ، والذي يتضمن أنه حصل خلاف بين هذه الجمعية وبين المجلس الإسلامي في سنغافورة في بداية شهر رمضان ونهايته سنة ١٣٩٩هـ الموافق ١٩٧٩م حيث رأت الجمعية ابتداء شهر رمضان ونهايته على أساس الرؤية الشرعية وفقًا لعموم الأدلة الشرعية ، بينما رأى المجلس الإسلامي في سنغافورة ابتداء ونهاية رمضان المذكور بالحساب الفلكي معللًا ذلك بقوله : (بالنسبة لدول منطقة آسيا حيث كانت سماؤها محجبة بالغمام ، وعلى وجه الخصوص سنغافورة ، فالأماكن لرؤية الهلال أكثرها محجوبة عن الرؤية ، وهذا يعتبر من المعذورات التي لا بد منها ، لذا يجب التقدير عن طريق الحساب) .

وبعد أن قام أعضاء مجلس المجمع الفقهي الإسلامي بدراسة وافية لهذا الموضوع على ضوء النصوص الشرعية ، قرر مجلس المجمع الفقهي الإسلامي تأييده لجمعية الدعوة الإسلامية فيما ذهبت إليه ، لوضوح الأدلة الشرعية في ذلك .

كما يقرر أنه بالنسبة لهذا الوضع الذي يوجد في أماكن مثل سنغافورة وبعض مناطق آسيا وغيرها ، حيث تكون سماؤها محجوبة بما يمنع الرؤية ، فإن للمسلمين في تلك المناطق وما شابهها أن يأخذوا بمن يثقون به من البلاد الإسلامية التي تعتمد على الرؤية البصرية للهلال دون الحساب بأي شكل من الأشكال ، عملًا بقوله ﷺ : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » ، وقوله ﷺ : « لا تصوموا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة ، ولا تفطروا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة » ، وما جاء في معناهما من الأحاديث .

دروس وعبر من قصة موسى عليه السلام

فضيلة الشيخ
محمد رزق ساطور
مدير إدارة التعليم
وشئون القرآن
بالمركز العام

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله ومن والاه وبعد :

الثاني والثلاثون : في قول العبد الصالح : ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ [الكهف : ٧٩] ، فقد نسب العيب لنفسه ، ولم ينسبه لله تعالى ؛ تعظيمًا وتنزيهًا وتأدبًا مع الله تعالى ، فالعيبُ يليق بنا ، ولا يليق برب الناس ، على الرغم من أن العبد الصالح لم يفعل ذلك من تلقاء نفسه ، وإنما كان بأمر الله تعالى ، ومع ذلك نسب الفعل لنفسه تأدبًا مع الله تعالى ، وتنزيهًا له عن العيب والنقص ، وكذلك في قتل الغلام قال : ﴿ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ [الكهف : ٨٠ ، ٨١] ، وقد فصلنا هذه المسألة في العدد السابق في المسألة الثانية عشر ص ٥٩ فلتراجع .

الثالث والثلاثون : في قوله تعالى : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾ [الكهف : ٧٩] تأمل في بيان وإجابة العبد الصالح توضيحًا لموسى عليه السلام ، إن هذا التوضيح كان أدعى أن يُعترض عليه ، يعني : لو كانت السفينة لأغنياء لهان الأمر ، ولكن لمساكين يعملون ولا يزالون محتاجين ، ومع ذلك لم يعترض موسى عليه السلام أو ينكر أو يقل له : أتخرق سفينة لمساكين أهذه هي مساعدتك لهم ، أو معاونتك إياهم ، لكن موسى عليه السلام قد علم الدرس ووعاه ، فمع أن تفسير الأمر كان يستدعي من موسى عليه السلام أن يستنكر أكثر لحاجة المساكين ؛ لكنه صبر فاتضح له وجه الحكمة في ذلك : أن العبد الصالح فعل ذلك لتبقى لهم سفينتهم ، ويكون ذلك سببًا في حفظ سفينتهم بإذن الله .

الرابع والثلاثون : في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف : ٧٩] فيها تحريم الغصب ، والتشنيع على فاعله ، وفيها أن الملوك إذا كانوا على غير دين الله ، أذاقوا أممهم العذاب ، وعاثوا في الأرض فسادًا ، وظلموا وخربوا وسلبوا أموال الناس ، واعتدوا على أملاكهم : تارة بالتأميم ، وتارة بفرض أتاوات وضرائب باهظة تستغرق الأموال ، وتارة بالجمارك ، وتارة بالهوى والاعتداء والأحقاد الشخصية ، فيغتصبون الحقوق ويضيعون أهلها ، وواجب الأنبياء والمرسلين وأتباعهم أن يرفعوا عن الناس الظلم ، وأن يدافعوا عن المظلومين ، ولذلك إذا تأملت أحوال المسلمين في البوسنة مثلًا وجدت أن أعداء الله من الصليبيين قد اغتصبوا أموالهم

وأعراضهم وبيوتهم ومساكنهم ، وخربوا ديارهم وقتلوا أبناءهم وغدروا بهم ، فهذا حال أهل الباطل ؛ كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [النمل : ٣٤] ، وماذا فعل المسلمون ؟ لا يزالون يستنكرون ويدينون ويشجبون ويحذرون ، أمات الاستعمار والغزو الفكري في النفوس النخوة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، فاللهم ردنا إلى دينك ردًّا جميلًا ، ولا تؤاخذنا بذنوبنا أخذًا وبيلًا .

الخامس والثلاثون :

جواز إتلاف بعض مال الغير ، أو تعييبه لوقاية وصيانة باقيه ، كمال المودع أو اليتيم ، فإن انتظار استئذان صاحب المال أو ربما غياب فهمه وإدراكه للمصلحة يضيع الفرصة في إنقاذ ماله أو إبعاد الظلم عنه ، ومن هنا وجب على المسلم أن يكون ناصحًا لأخيه ، حريصًا عليه ، يسدي له حقه عليه ، وإن كان بغير إذنه ؛ نظرًا للمصلحة الراجحة التي تعود عليه بالخير والمنفعة .

السادس والثلاثون :

إذا تعارضت مفسدتان ارتكب أخف الضررين ، فلما تعارضت مفسدة الغصب مع مفسدة خرق السفينة ارتكب أخف الضررين وهو خرق السفينة ؛ وهذه قاعدة أصولية .

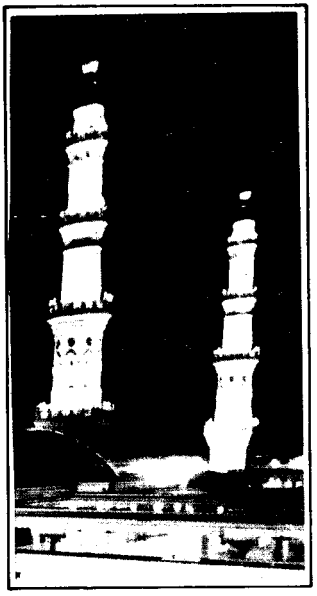

السابع والثلاثون : في

قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾ [الكهف : ٨٠] ، مع أن الإشكال هنا يستحق الاعتراض والسؤال ، وعدم الصبر على تكملة الرد بأن يقول له : وهل إذا كان أبواه مؤمنين كان جزاء ابنهما القتل ، ومع ذلك فقد تعلَّم موسى عليه السلام الصبر ، فانتظر ، فإذا بالسبب يزيل الالتباس ويوضح الإشكال ، فمع أنه قتل إلا أنه رحمة بالوالدين وحرصًا على إيمانهما ، وهنا يظهر أن المصيبة ربما يكون فيها وجه رحمة وخير لمن أصابته ، وهذا أدعى أن يصبر ويحتسب ، ويعلم أنه ربما ادخر الله فيها له خيرًا كثيرًا .

الثامن والثلاثون : أن

صلاح الآباء ينفع الأبناء ما لم يبلغوا الحلم ، فإن أحسنوا امتد الانتفاع وازداد ، وإن أساءوا قطعوا بينهم وبين هذا النفع ، فكم من يتيم في المدينة ، ومع كثرتهم أرسل الله تعالى من بنى ليتيمَيْن بالمدينة جدارًا لهما كاد أن ينهار ؛ وذلك لأن أباهما كان صالحًا ، ولذلك قال سبحانه : ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [النساء : ٩] .

التاسع والثلاثون :

عمارة ما يخاف من أن ينهار أو يهدم ، وعدم إهماله إلى أن يخرب ، فحينما رأى العبد الصالح الجدار قد أوشك على الهدم أو قاربه أقامه ، فلا ينبغي إهمال الأشياء وتركها حتى تخرب ، وذلك يدل على أن أهل الإيمان إنما هم خير لأهل الأرض ، وعمار للأرض ، ويرجون الخير ويحافظون على أهل الإيمان وعلى ذريتهم .

الأربعون : في قوله

تعالى : ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ [الكهف : ٨٢] .

وفي هذه الآية دلالة على جواز دفن المال في الأرض سواء أخاف الإنسان من النهب أو السلب أو السرقة أو الغصب ، وإذا لم يستطع العبد أن يثمر ماله بالحلال الطيب ويبتعد عن الربا والحرام ؛ فباطن الأرض خير للمال من ظاهرها ،

وذلك أولى من المعاملات الربوية التي يفتي بها من غرتهم المناصب الزائلة ، والمجاملات الفاسدة على حساب دين الله تعالى ، فيزعمون أن الربا المحرم الخبيث سيكون بفتوى مفتٍ ، أو تأويل فاسد ، سيكون حلالًا ، كلا ، فالله تعالى يقول : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَا وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَاتِ ﴾ [البقرة : ٢٧٦] .

الحادي والأربعون : لا

ينبغي أن يعجب المرء بعلمه ، ولا يبادر إلى إنكار ما لم يستحسنه ، فلعل فيه سرًّا لا يعرفه ، فإن صبر عليه علم تأويله أو فهمه على مراده ، فلا ينبغي أن ينكر شيئًا ، بل عليه أن يتأنى حتى يعلم حقيقة الأمر ، فلقد أنكر موسى عليه السلام على العبد الصالح أنْ خرق السفينة ، وتعجب أن تحمل السفينة أهلها وبها خرق ، على الرغم من أنه عليه السلام حين وضعته أمه في اليم وهو رضيع في صندوق من الخشب صنع على عجل ؛ نجاه الله تعالى في مكانٍ الهلاك فيه محقق ، ولو أن الإنسان تأمل أكثر ؛ لعلم أن من في السفينة قد يتعلق بأحد الألواح ، أو يستطيع الغوص فينجو ، ولكن الرضيع لا أمل له في ذلك .

فالذي نجى الرضيع من الغرق - وهو لا يمتلك الأسباب - قادر على أن ينجي أهل السفينة وهم يمتلكون الأسباب ، وأنكر موسى عليه السلام على العبد الصالح قتل الغلام وتعجب كيف يَقْتُل ولا يُؤاخذ ، مع أنه عليه السلام قتل ولم يؤاخذ ، قال سبحانه : ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَٱسْتَغَاثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ [القصص : ١٥] .

فكيف ينكر عليه القتل وقد قتل ، ولم يعاقبه الله على فعله ، قال سبحانه : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ﴾ [القصص : ١٦] ، وأنكر عليه أن يبني الجدار بغير أجر ، مع أنه عليه السلام سقى لابنتي الرجل الصالح ،

ولم يطلب على سقيه أجرًا ، مع أنه كان أحوج للأجر من العبد الصالح ، قال سبحانه : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۖ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٣ ، ٢٤] .

ولذلك ينبغي أن لا يعجل المرء بل عليه أن يتريث حتى لا ينكر شيئًا هو يفعله .

الثاني والأربعون : الرضا والتسليم بقدر الله تعالى .

فربما ينظر المرء إلى بعض الأفعال فيستاء ويحزن ، وإذا علم حقيقة الأمر ؛ وجد أن المصائب لها جانب حسن ، خاصة عند التسليم والإذعان ، رضًا بقدر الله ، فخرق السفينة ظاهره غرق لأهلها ، وخطر محقق ، وحرمان لأهلها من الرزق الطيب ، ولكن الحقيقة : نجاة السفينة من الغاصب الغادر ، وقتل الغلام ظاهره مفجع وقاسٍ لوالديه ، وفقدان لعزيز ، وحقيقته : الرحمة بالوالدين ، والخوف على ذهاب إيمانهما بالله ، ووقوع الجدار ظاهره الخراب ، وحقيقته : العمران الحقيقي بإقامته ، وصيانة الكنز من تحته .

وإذا علم العبد أن للمصائب وجهًا حسنًا ، إذا رضي فيها بقدر الله واسترجع ؛ فإن الله تعالى يعوضه خيرًا مما أخذ منه ، ويقدر له الخير .

الثالث والأربعون :

إطلاق اسم القرية على المدينة لقوله تعالى : ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾ [الكهف : ٧٧] ، ثم قال عنها : ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [الكهف : ٨٢] ، وأعظم المدن مكة المكرمة ، قال الله عنها : ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الأنعام : ٩٢] ، وقال سبحانه : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ ﴾ [محمد : ١٣] .

الرابع والأربعون :

التعبير بـ « تستطع » ، « تسطع » ، فقبل أن يوضح العبد الصالح لموسى عليه السلام ما رآه : من خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وبناء الجدار ، كان الإشكال قويًا شديدًا ثقيلًا فقال : « تستطع » ، ولما فسر الخضر لموسى عليه السلام الأمر وبين له تأويل ما لم يصبر معه ، ووضحه وأزال المشكل قال : « تسطع » بحذف التاء ، فقابل الأثقل بالأثقل ، والأخف بالأخف ، كما قال سبحانه : ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُ

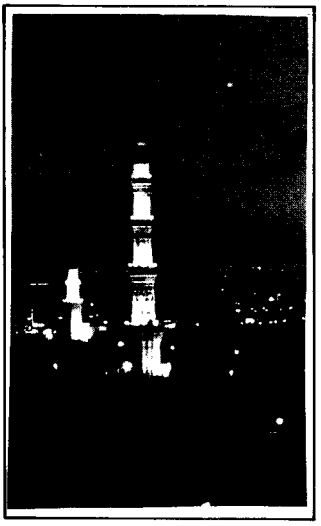

نَقْبًا ﴾ [الكهف : ٩٧] ، فالصعود سهل ، أما نقب الجبل فشيء شاق صعب ، فقابل السهل بحذف التاء ، ومع الأثقل جاءت التاء .

فالقرآن الكريم معجز ، وما أنزله الله إلا بعلمه ، ولا يوجد حرف في القرآن إلا وله أهميته ومناسبته ومعناه .

الخامس والأربعون :

في قوله تعالى : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ﴾ [الكهف : ٨٢] .

وهذه لطمة للجهال الذين زعموا أن الخضر ولي من أوليائهم ، وافتروا على الشرع زورًا أن الولي له أن يفعل من المخالفات ما شاء ، فمخالفته يثاب عليها في زعمهم ، فبين القرآن الكريم أن ما فعله العبد الصالح لم يكن من تلقاء نفسه ، أو من رأيه وهواه ، بل إنما فعل كل ما فعل بتوجيه وأمر من الله تعالى ، فما كان له أو لأي عبد صالح أن يفعل شيئًا من تلقاء نفسه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس : ١٥] ، وإذا أمر الله تعالى ؛ فأمره هو الخير كله ، فأعمال الخضر التي قام بها لم تتجرد عن الوحي ، بل هي ناتجة عن متابعة وتنفيذ لأمر الله ووحيه ، فلعل أهل الجهل من الطرقيين يفيقون من غيهم وضلالهم ؛ ليعلموا أن الخير كل الخير في الاتباع ، والشر كل الشر في الابتداع .

السادس والأربعون :

العمل علم يجب الحرص عليه ، فهذه الرحلة المباركة في طلب العلم لم يجلس فيها العبد الصالح مجلس وعظ ولا خطابة ، ولا محاضرًا لموسى عليه السلام ، ولم يُملِ عليه الفوائد والمسائل والدروس والعبر والعظات ، بل إن العلم الذي تلقاه موسى عليه السلام إنما بالمرافقة والملازمة والمصاحبة ، فليس العلم هو الكلام فقط ، بل تلقى موسى عليه السلام علم العمل ، وهذا العلم هو الذي

نفتقده اليوم ، فما أكثر الدروس والمحاضرات والخطب والمواعظ والمؤثرات الوقتية ، وما أقل العمل ، فخلاصة هذه الرحلة التركيز على علم العمل والاستفادة من لحظات الحياة ، والاستمساك بأمر الله ووحيه وتنفيذ أمره ، وكما قيل : لفعل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل لرجل .

السابع والأربعون :

سعة علم الله تعالى ، وأنه لا نهاية له ، ولا غاية تحصره ؛ ولذلك لما تقابل موسى عليه السلام مع العبد الصالح قال له : « يا موسى ! إني على علم من الله علمنيه لا تعلمه أنت ، وأنت على علم علمكه لا أعلمه .. ، فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين في البحر فقال الخضر : يا موسى ! ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر » الحديث سبق تخريجه .

الثامن والأربعون :

خاتمة هذه الرحلة المباركة درس في فهم الصفات ، فلقد جاء في هذه الرحلة قوله تعالى : ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ [الكهف : ٧٩] ، ﴿ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا ﴾ [الكهف : ٨١] ، ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ ﴾ [الكهف : ٨٢] ، ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ [الكهف : ٧٧] ، فالعبد له إرادة ، وهم لهم إرادة ، والجدار له إرادة ، ورب العالمين له إرادة ، إلا أن صفة الخالق ليست كصفة المخلوق ، فصفة الله الخالق تناسب عظمته وجلاله وكماله وعلوه ، أما إرادة العبد فإنها تناسب عجزه وضعفه وفقره ونقصه وافتقاره ، وإرادة الجدار تناسب قصوره وسكونه وثباته بإذن ربه ، فما بين صفة الخالق وصفة المخلوق كما بين ذات الخالق جل وعز وذات المخلوق ، فالله تعالى ليس كمثله شيء ، فلا ينبغي أن يخلط العبد بين صفات الخالق وصفات المخلوق .

أسأل الله أن يجعلنا مسلمين له ، موحدين له ، إنه على كل شيء قدير .

مسلم : عن عمر – رضي الله عنه – قال : لما كان يوم بدر قال : نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ، ونظر إلى المشركين . فإذا هم ألف وزيادة . فاستقبل النبيُّ ﷺ القبلة ثم مدَّ يديه وعليه رداؤه وإزاره ثم قال : « اللهم أين ما وعدتني . اللهم أنجز ما وعدتني . اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبدًا » . فما زال يستغيث ربَّه عزَّ وجل ويدعوه حتى سقط رداؤه . فأخذ أبو بكر رداءه فردَّه ثم التزمه من ورائه يقول : يا نبيَّ الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك . وأنزل الله عزَّ وجل : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ الآيات . [الأنفال : ٩] فلما كان يومئذ والتقوا هزم الله عزَّ وجل المشركين . فقُتِلَ منهم سبعون . وأُسِرَ منهم سبعون رجلًا . فاستشار ﷺ أبا بكر وعليًّا وعمر – رضي الله عنهم .

القدوة الحسنة

أصول القدوة وأركانها

بقلم

فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن حميد إمام المسجد الحرام

الرحمة : الرحمة كمال في الطبيعة تجعل المرء يرقُّ لآلام الخلق ويسعى لإزالتها ويأسى لأخطائهم فيتمنى لهم الهدى . الرحمة عاطفة حية نابضة بالحبِّ للناس والرأفة بهم والشفقة عليهم .

وربنا تبارك وتعالى هو أرحم الراحمين وخير الراحمين ، بل إن رحمته وسعت كل شيء كما أن علمه قد وسع كل شيء وملائكةُ الرحمن يلهجون بهذا الدعاء الشفوق من أجل المؤمنين : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [سورة غافر : ٧] .

والرسول ﷺ هو الرحمة المهداة للعالمين كلهم ، بل كأن الغاية من رسالته محصورة في الرحمة : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ١٠٧] .

والرحمة المذكورة هنا يقصد بها الرحمة العامة لكل الخلق تراحمًا عامًّا ليلقى المسلم الناس قاطبة وقلبه لهم بالعطف مملوء وبالبر مكنون ، لأن الرحمة الخاصة قد تتوفر في بعض الناس فيرقُّ لأولاده حين يلقاهم ويهشُّ لأصدقائه حين يجالسهم ولكن الرحمةَ المطلوبة من القدوة أوسع من ذلك وأرحب : « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » ، « ومن لا يَرحم لا يُرحم » . بل إن الرحيم تنال رحمته الحيوان من غير البشر . والله يثيب على هذه الرحمة ويغفر بها الذنوب . فالذي سقى الكلب لما رآه يأكل الثرى من العطش شكر الله له فغفر له ، والمرأة البغي من بني إسرائيل سقت كلبًا كان يطيف حول بئر في يوم حار قد دلع لسانه من العطش فنزعت له خفها وسقته فغفر لها .

التواضع : جبلت النفوس على كره من يستطيل عليها ويحتقرها ويستصغرها ، كما جبلت على النفرة ممن يتكبر عليها ويتعالى عنها . حتى ولو كان ما يقوله حقًّا وصدقًا . إن قلوبهم دون كلامه مغلقة ، وصدورهم عن إرشاده ووعظه موصدة ؛ بل لعلهم يكرهون أو يستثقلون ما يصدر منه من علم وحق .

وقد أدب الله نبيه محمدًا ، ﷺ ، في هذا الباب فخاطبه بقوله : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ

- الرحمة كمال في الطبيعة تجعل المرء يرقُّ لآلام الخلق ويسعى لإزالتها ويأس لأخطائهم فينمي لهم الهدي .
- التواضع بذل للاحترام والعطف لمن يستحقه ، وخلق يكسب صاحبه رضا أهل الفضل ، ومودتهم ، ومن أحقُّ بهذا الخلق من رجل القدوة .
- أراد الله بفضله ورحمته أن يمنن على العالم برجل يمسح آلامه ويخفف أحزانه ويستميت في هدايته وينافح الضعيف ، ويهذب القوي ، حتى يرده سويًا سليم الفطرة .

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ ﴾ [سورة الكهف : ٢٨] .

أولئك هم المستضعفون من الصحب الكرام أمثال صهيب وعمار وبلال وخباب ؛ أراد الملأ المستكبرون من قريش من الرسول ﷺ أن يطردهم من مجلسه أو أن يخصص لهم مجلسًا لا يجتمعون فيه مع الضعفاء والفقراء فأنزل الله عليه : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [سورة الكهف : ٢٨].

إن التواضع هو بذل الاحترام والعطف لمن يستحقه . التواضع خلق يكسب صاحبه رضا أهل الفضل ، ومودتهم ومَنْ أحقُّ بهذا الخلق من رجل القدوة فهو أنجح وسيلة إلى الائتلاف .

إن ابتغاء الرفعة وحسن الإفادة من طريق التواضع هو أيسر الطرق وأوثقها . ذلك أن التواضع في محله يورث المودة ، فمن عمر فؤاده بالمودة امتلأت عينه بالمهابة .

إن المتواضع هو الرجل الذي يرجى لنفع الأمة ويستطيع الخوض في كل ميدان ويعيش في كل مجتمع ، يعيش وهو ضافي الكرامة أنيس الملتقى شديد الثقة بنفسه مبسوط المحيا لجليسه .

ويلتحق بهذا الأمر ويلتصق به حديث المرء عن نفسه وكثرة الثناء عليها ، فذلك شيء ممقوت يتنافى مع خلق التواضع وإنكار الذات ، فينبغي لرجل الدعوة ومحل القدوة ألا يدَّعي شيئًا يدل على تعاليه . بل إن حقًّا عليه أن يعرف أن كل ما عنده من علم أو منزلة أو مرتبة هو محضُ فضل الله عليه فليتحدث – إن شاء أن يتحدث – بفضل الله لا بفضل نفسه ، فإذا أدرك الناس منه ذلك فتحوا له قلوبهم وتحلَّقت حوله نفوسُهم قبل أجسادِهم ووقع وعظُه وتوجيهه منهم موقع القبول والرضا ونال من الحظوة على قدر إحسانه وقصده .

الرفق : الحديث عن الرفق جميل وطويل وهو في ذات الوقت ممتع . وفي تقديرنا أن حاجة الدعاة إليه من أهل العلم والفضل والقدوة ماسة للغاية ؛ وبخاصة إذا انضم إليه ما سبق من حديث في الرحمة والتواضع .

ونستفتح في حديث الرفق بصفة

المصطفى ﷺ التي رحم الله العباد بهم فاصطفاه لها ، يقول الله عز وجل : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٥٩] . نعم لقد أراد الله بفضله ورحمته أن يمن على العالم برجل يمسح آلامه ويخفف أحزانه ويستميت في هدايته ويناصر الضعيف ويهذب القوي حتى يرده سويًا سليم الفطرة لا يشقى ولا يطغى فأرسل محمدًا ﷺ ، وسكب في قلبه من العلم والحلم وفي خلقه من الإحسان والبر وفي طبعه من اللين والرفق وفي يده من الكرم والندى ما جعله أزكى عباد الله قلبًا وأوسعهم عطفًا وأرحبهم صدرًا وألينهم عريكة .

هذا بعض نعت محمد ﷺ المجتزأ من قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم : ٤] .

وهذا إيراد من قبس النبوة في باب الرفق وبيان أثره لننطلق منه إلى ما يخصُّ هذا المبحث .

يقول عليه الصلاة والسلام : « إن الله رفيق يحبُّ الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه » [رواه مسلم] .

وقال مخاطبًا عائشة رضي الله عنها : « عليك بالرفق ... إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه » .

يا أيها المُقتدى بهم : إن الناس في حاجة إلى كنف رفيق ، وإلى رعاية حانية ، وبشاشة سمحة ، بحاجة إلى ودٍّ يسعهم ، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم . في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج إلى عطائهم ، ويحمل همهم ولا يثقلهم بهمه ، يجدون عنده الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والمودة والرضا .

وقد يحسن أن نخصَّ الدعاة المقتدى بهم بخطاب عن الرفق أخذًا من نهج السلف إذ إن هذا الميدان – ونحن نعيش الصحوة الإسلامية وأجواءها المباركة – نحتاج فيه إلى مزيد عناية وفقه وترفق .

يقول عمر – رضي الله عنه – وهو على المنبر : (أيها الناس لا تُبَغِّضُوا الله إلى عباده ، فقيل : كيف ذلك أصلحك الله ؟ قال : يجلس أحدكم قاصًا[1] فيقول على الناس حتى يبغض إليهم ما هم فيه ، ويقوم أحدكم إمامًا فيطول على الناس حتى يبغض إليهم ما هم فيه) .

ويقول ابن عباس – رضي الله عنهما – : « حدِّث الناس كل جمعة ، فإن أكثرت فمرتين ، فإن أكثرت فثلاث ، ولا تمل الناس من هذا القرآن ، ولا تأت القوم وهم في حديث - فتقطع عليهم حديثهم . وقال : أنصت ... فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه ، وإياك والسجع في الدعاء فإني عهدت رسول الله ﷺ ، وأصحابه لا يفعلونه) .

وكان ابن مسعود يُذكِّر كل خميس فقال رجل من القوم : لوددت – يا أبا عبد الرحمن – لو أنك ذكرتنا كل يوم . فرد عليه هذا الكيِّف الذي قد ملئ علمًا : (أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملَّكم ، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا) .

يعلق على هذا الحافظ ابن حجر في « الفتح » مستنبطًا مستخلصًا بقوله : وفي هذا استحباب ترك المداومة في الجد في العمل الصالح خشية الملال وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين : إما كل يوم مع عدم التكلف ، وإما يومًا بعد يوم فيكون الترك لأجل الراحة ليقبل على الثاني بنشاط ، وإما يوم الجمعة ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والضابط الحاجة مع وجود النشاط .

والرفق ذو ميادين فسيحة ومجالات عريضة فرفق مع الجهال : إما جهل علم ، أو جهل تحضر ، ولقد رفق النبي ﷺ بالأعرابي الذي بال في المسجد وتركه حتى فرغ من بوله وأمر أصحابه بالكف عنه وألا يقطعوا عليه بوله فلما فرغ دعاه النبي ﷺ وأخبره أن المساجد لم تبنَ لهذا وإنما هي لذكر الله والصلاة .

وجلفّ أعرابي آخر جذب برداء النبي ﷺ جذبة شديدة وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية فأثر في صفحة عنق النبي ﷺ ، ثم قال الأعرابي : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت نبي الرفق والرحمة ضاحكًا ثم أمر له بعطاء . بأبي هو وأمي ﷺ ، ما كهر ولا نهر ولا تبرم ولا ضجر .

ومن الذين يخصون بمزيد من الترفق المبتدئون في الإسلام والعلم وطريق الاهتداء . والغفلة في هذا الجانب قد تؤدي إلى فتنة وانعكاس في المقصود . وقد قال عليه الصلاة والسلاة لمعاذ وأبي موسى لما بعثهما إلى اليمن : « بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا » .

يقول ابن حجر : (والمراد تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليه في الابتداء ، وكذلك الزجر عن المعاصي ينبغي أن يكون بتلطف ليُقبل ، وكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدرج ، لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلًا حُبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط وكانت عاقبته غالبًا الازدياد بخلاف ضده) .

وينبغي أن يتمثل القدوة في هذا الباب الرفق بمجالسيه فيتحمل من كان منهم ذا فهم بطيء ، ويسع بحلمه جفاء ذي الجهالة ، لا يعنف السائل بالتوبيخ القبيح فيخجله ، ولا يزجره فيضع من قدره .

وأخيرًا فالرفق ليس حقًا مقصورًا على بني الإنسان بل هو حق محفوظ لكل ذي كبد رطبة يجسد ذلك في أدقّ صوره بل أغلظ ما يتصور من حالات حين يقول الرسول عليه الصلاة والسلام :

« إن الله كتبَ الإحسان على كلّ شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة وليحدَّ أحدُكم شفرته وليرح ذبيحته » .

وأي رفق بعد هذا الرفق في حالة إزهاق الروح وفصل الرأس عن الجسد ، ولنختم هذا بهذا الدعاء النبوي :

« اللهم من ولي من أمر أمتي أمرًا فرفق بهم فارفق به ، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فشقَّ عليهم فاشقق عليه » .

فضل من استجاب لله ورسوله يوم أُحد

البخاري : عن عائشة – رضي الله عنها – في قول الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ . [آل عمران : ١٧٢] قالت لعروة – رضي الله عنه –: يا ابن أُختي كان أبواك منهم ، الزبير وأبو بكر – رضي الله عنهما . لما أصاب رسول الله ما أصاب يوم أحد . وانصرف عنه المشركون . خاف أن يرجعوا . قال : « مَنْ يذهب في إثرهم » . فانْتُدِبَ منهم سبعون رجلًا . كان فيهم أبو بكر والزبير – رضي الله عنهما .

الغلو والتطرف في الفرق الإسلامية

قضي أمر الخلافة حين تمت البيعة لأبي بكر الصديق ، وتفرغ الصديق لمواجهة الأحداث ، والقيام بأمر المسلمين ، ورعايتهم ، وكان عونه على ذلك أصحاب رسول الله ﷺ ، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان .. وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد امتدت خلافة الصديق سنتين وشهورًا ، ثم مرض مرضه الذي مات فيه .

(**عقد** أبو بكر في مرضته التي توفي فيها لعمر بن الخطاب عقد الخلافة من بعده ، وذكر أنه لما أراد العقد له دعا « عبد الرحمن بن عوف » ، فقال : أخبرني عن عمر ، فقال : يا خليفة رسول الله ، هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ، ولكن فيه غلظة ، فقال أبو بكر : ذلك ؛ لأنه يراني رقيقًا ، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيرًا مما هو عليه)[1] .

ثم دعا عثمان بن عفان ، قال : (يا أبا عبد الله ، أخبرني عن عمر ، قال : أنت أخبر به ، فقال أبو بكر : علي ذاك يا أبا عبد الله ! قال : اللهم علمي به أن سريرته خيرٌ من علانيته ، وأن ليس فينا مثله ، قال أبو بكر رحمه الله : رحمك الله يا أبا عبد الله)[2] .

ثم أشرف أبو بكر على الناس من كيفه وأسماء بنة عميس بمسكه ، موشومة اليدين ، وهو يقول : (أترضون بمن أستخلف عليكم ؟ فإني والله ما ألوتُ من جَهْد الرأي ، ولا وليت ذا قرابة ، وإني قد استخلفت عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فقالوا : سمعنا وأطعنا)[3] .

ثم دعا عثمان خاليًا . فقال : اكتب : (بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد به أبو بكر بن قحافة ، آخر عهده في الدنيا ، نازحًا عنها ، وأول عهده بالآخرة ، داخلًا فيها : إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن تروه عدل فيكم ، فذلك ظني به ورجائي فيه ، وإن بدّل وغيّر ؛ فالخير أردت ، ولا أعلم الغيب ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، ثم ختم الكتاب ودفعه)[4] .

وقد علم بعض المهاجرين والأنصار الخبر ، فحاجوا أبا بكر : (نراك استخلفت علينا عمر ، وقد عرفته ، وعلمت بوائقه فينا ، وأنت بين أظهرنا ، فكيف إذا وليت عنا ، وأنت لاق الله عز وجل فسائلك ، فما أنت قائل ؟ فقال أبو بكر : لئن سألني الله لأقولن : استخلفت عليهم خيرهم في نفسي .

قال : ثم أمر أن تجتمع له الناس ، فاجتمعوا ، فقال : أيها الناس قد حضرني من قضاء الله ما ترون ، وإنه لا بد لكم من رجل يلي أمركم ،

خلافة عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان، وما حدث فيها.

أ . د سعيد مراد
فاقوس في ١٩٩٥/٩/١٥
أستاذ الفلسفة الإسلامية
كلية الآداب
جامعة الزقازيق

ويصلي بكم، ويقاتل عدوكم، فيأمركم، فإن شئتم اجتهدت لكم رأيي، ووالله الذي لا إله إلا هو لا آلوكم في نفسي خيرًا، قال: فبكى، وبكى الناس، وقالوا: يا خليفة رسول الله، أنت خيرنا وأعلمنا، فاختر لنا، قال: سأجتهد لكم رأيي، وأختار لكم خيركم إن شاء الله، قال: فخرجوا من عنده، ثم أرسل إلى عمر فقال: يا عمر أحبك محب، وأبغضك مبغض، وقديمًا يحب الشر، ويبغض الخير، فقال عمر: لا حاجة لي بها، فقال أبو بكر: لكن بها إليك حاجة، والله ما حبوتك بها، ولكن حبوتها بك، ثم قال: خذ هذا الكتاب، واخرج به إلى الناس، وأخبرهم أنه عهدي، وسلهم عن سمعهم وطاعتهم. فخرج عمر بالكتاب وأعلمهم، فقالوا: سمعًا وطاعة ...)[٥].

واستمرت خلافة عمر عشر سنين بعد أبي بكر، فوالله ما فارق الدنيا حتى أحب ولايته من كرهها.

لقد كانت إمارته فتحًا، وإسلامه عزًا ونصرًا، اتبع في عمله سنة صاحبيه وآثارهما، كما يتبع الفصيل أثر أمه، ثم اختار الله له ما عنده.

وفي فجر يوم الأربعاء لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين مات الخليفة العادل عمر بن الخطاب متأثرًا بضربات أبي لؤلؤة المجوسي الذي ضربه بالخنجر ست ضربات. وكان أول خليفة يقتل بيد عدو من أعداء الإسلام.

خلافة عثمان وأمر الفتنة في عهده:

لم يحدث بعد وفاة أبي بكر ما يفتح للمسلمين باب الفتنة، فقد اختار خليفة يخلفه بعد وفاته قبل موته..، وكانت قد اجتمعت كلمة المسلمين على عمر بن الخطاب، إلا أن عمر لم يستخلف بعده أحدًا، حيث كان الأمر عسيرًا، وقد رشح للخلافة ستة من كبار الصحابة، حيث قال: إنه تكرر عليه طلب الاستخلاف، (ثم رأيت أن لا أتحمل أمركم حيًا وميتًا)، وفي رواية: إنه لما طُعن قيل له: (يا أمير المؤمنين، لو استخلفت! قال: من أستخلف؟ لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيًا استخلفته، فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيك يقول: «إنه أمين هذه الأمة»، ولو كان سالم مولى

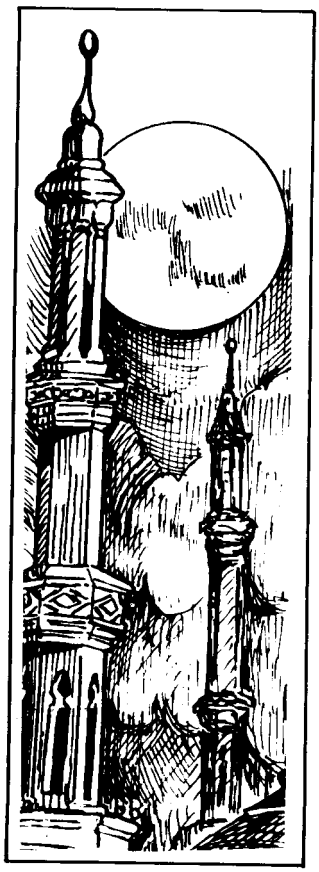

أبي حذيفة حيًّا استخلفته ، فإن سألني ربي قلت : سمعت نبيك يقول : « إن سالمًا شديد الحب لله » . فقال له رجل : أدلك عليه ؟ عبد الله بن عمر ، فقال : والله ما أردت الله بهذا ، ويحك ! كيف أستخلف رجلًا عجز عن طلاق امرأته ؟! لا أرَبَ لنا في أموركم ، ما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي ، إن كان خيرًا فقد أصبنا منه ، وإن كان شرًّا فشرٌّ عنّا آل عمر ، يحسب آل عمر أن يُحاسب منهم رجل واحد ، ويسأل عن أمر أمة محمد ، أما لقد جهدت نفسي ، وحرمت أهلي ، وإن نجوت كفافًا لا وزر ، ولا أجر إني لسعيد ، وأنظر ، فإن استخلفت فقد استخلف من هو خير مني ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني ، ولن يضيع الله دينه .

فخرجوا ثم راحوا ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لو عهدت عهدًا ! فقال : قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأولّي رجلًا أمركم ، هو أحراكم أن يحملكم على الحق - وأشار إلى علي - ورهقتني غشية ، فرأيت رجلًا دخل جنة قد غرسها ، فجعل يقطف كل غضة ويانعة ، فيضمه إليه ، ويصيره تحته ، فعلمت أن الله غالب على أمره ، ومتوفٍّ عمر ، فما أريد أن أتحملها حيًّا وميتًا ، عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله ﷺ : « إنهم من أهل الجنة » ، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل منهم ، ولست مدخله ، ولكن الستة : علي وعثمان ابنا عبد مناف ، وعبد الرحمن ، وسعد خالا رسول الله ﷺ ، والزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ وابن عمته ، وطلحة الخير بن عبيد الله ، فليختاروا منهم رجلًا ، فإذا ولوا واليًا فأحسنوا مؤازرته وأعينوه ، إن ائتمن أحدًا منكم فليؤد إليه أمانته . وخرجوا ، فقال العباس لعلي : لا تدخل معهم : قال : أكره الخلاف ، قال : إذًا ترى ما تكره !

فلما أصبح عمر دعا عليًّا وعثمان وسعدًا وعبد الرحمن بن عوف والزبير ابن العوام ، فقال : إني نظرت فوجدتكم رءوساء الناس وقادتهم ، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم ، وقد قُبِضَ رسول الله ﷺ وهو عنكم راضٍ ، إني لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم ، ولكني أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم ، فيختلف الناس)[٦] .

وهكذا حذر عمر رضي الله عنه من الخلاف ، الذي يفرق الجماعة ، ويشتت الشمل ، ويفتح أمام أعداء الإسلام المتربصين به الثغرات ، ويستفحل الخطر ، ويطعن المسلم أخاه في ذمته ودينه وتقواه . وفعلًا كثر القول وعلت الأصوات عند الاختيار ، وتعددت الاجتماعات ، وبعد مشاورات واجتماعات عديدة بويع عثمان بن عفان ، وبايع علي بن أبي طالب أولًا ، ولا عبرة بغير ذلك من الروايات ، فالمظنون بالصحابة غير ما يتوهم الرافضة وأغبياء القصاص الذين لا تميز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها[٧] .

وفي خلافة عثمان رضي الله عنه نشطت حركة الرافضة (الشيعة) ، وأشعل الشعوبيون من الفرس نار الفتنة ، وقاموا بالطعن في سياسة عثمان ، وبدأت الفتنة تأتي ثمارها ، وتحصد الأنفس حصدًا ، وانتهى الأمر بمقتل عثمان . كما قُتل عمر بتحريض من عبد الله بن سبأ ، وبأيدي جماعة من الشيعة . وبدأ عهد علي رضي الله عنه بالحروب .. بحجة المطالبة بدم عثمان ، وهذا موضوع العدد القادم بإذن الله .

---

(١) الطبري « تاريخ الرسل والملوك » جـ٣ ، ص٤٢٨

(٢) المرجع السابق نفس الموضع .

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٤) ابن قتيبة : « الإمامة والسياسة » ، ص٢٤ .

(٥) المرجع السابق ، ص٢٥ .

(٦) المرجع السابق جـ٤ ، ص٢٢٨ .

(٧) ابن كثير « البداية والنهاية » ، جـ٧ ، ص١٦١ .

في رحاب السُّنة

بقلم
أ . محمد عبد الكريم أحمد

إذا كان الصحفي الكبير الأستاذ مصطفى بهجت بدوي لم يستنكف ، ولم ير بأسًا من الاعتراف في شجاعة بالغة ؛ بفضل الحاج إسماعيل السمكري عليه - الذي كان سببًا في معرفته لدينه ، وتوحيد ربه ، والتزامه بسنة نبيه ﷺ - ولم يخجل وهو في قمة مجده من إعلان ذلك على الملأ لعامل بسيط ، ولكنه بعمله هذا صار جليل القدر ، فرحمه الله رحمةً واسعة بما قدم للإسلام من خير .

وقد ألهب هذا حماسي للكتابة في موضوعي الذي قد يكون غريبًا أكثر . لقد كان الفضل في اعتناقنا للسنة - أنا ووالدي - راجعًا إلى « برشامجي » بالسكك الحديدية ، بورش جبل الزيتون بالإسكندرية ، توفي منذ سنوات قلائل - كان يسمى : « علي بدوي » ، أو كما كنا نلقبه : « عم علي بدوي » ، كان أميًّا - وهذا وجه الغرابة - لا يقرأ ولا يكتب ، ولكنه كان حاد الذكاء ، مستنير الأفق ، غيورًا على دينه ، متحمسًا له أشد التحمس ، رحمه الله رحمةً واسعة ، ونقف هنا برهة وجيزة ؛ ولنا إليه عودة .

نشأتُ في بيئة شاذلية تقدس الشيوخ وتشيد بهم ، وكانت تطرق سمعي منذ الطفولة الباكرة كلمات : (الشاذلي ، الإخوان الشاذلية ، الحضرة ، النفحة ، حلقة الذكر ، باروكية من الشيخ ، وهي : طعام يهديه الشيخ إلى أتباعه ، حيث يُتلقى بالقبول والشوق التماسًا لبركة الشيخ ...) إلخ .

وكان عليَّ بحكم البيئة ، وحداثة السن ؛ أن أسير في نفس الطريق ، ونَمَوْتُ وأنا أجد من حولي الخشوع والخضوع المطلق ؛ والاستسلام التام للشيخ ، وتقبيل الأيدي والرجوع من لدن الشيخ بظهري . وكنت أستمع إلى الأساطير والأقاصيص التي ينسجها الأتباع حول معجزات وكرامات وخوارق العادات ؛ التي يقوم بها الشيخ الأكبر ، مثل : إيقاف القطار المنطلق بأقصى سرعة ، حتى تدور عجلاته على الشريط بسرعة خارقة دون أن ينطلق ، مادام الشيخ واضعًا يده عليه ، وكذا ما وجده أحد الأتباع عندما كان يتوضأ ، فبدلًا من أن يفتح الصنبور ، فينزل الماء نزلت عوضًا عنه خيوط من الفضة ، فلما رآه الشيخ مرتاعًا قال له : سأمنع عنك ذلك ؛ إلى أن ترسخ قدمك ، وقد كان .

وكثير غير ذلك من الخرافات ، التي كانت تفتني من قبل ، كما فتنت الكثير من الناس .

ومن أقوالهم المأثورة التي كنت أسمعها : (الكبيرة فيها زيت ، والصغيرة والله مافيهاش زيت ؛ زيتها الشيخ) .

ولقد تعشقت الإنشاد والصوت الجميل في الحضرة ، وساعدني أن وجدت لدى الوالد في مكتبته المنزلية : نسختين من كتاب ضخم يسمى : « قاموس الأناشيد » حوى معظم القصائد التي يتناشدها الصوفية ، فشرعت أحفظ القصائد من الكتاب ، وأصبحت بعد ذلك منشدًا في الحضرة : وكنت إذ ذاك في نحو الثالثة عشر من العمر ، وأضحى لي في هذه الناحية نشاط يذكر ، حتى لقد ذكر لي بعض من انضموا إلى الشاذلية أنهم انضموا إليها إعجابًا بصوتي - وذلك بعد مرور سنوات طوال - وظللت على هذا النسق حتى بلغت الخامسة عشر تقريبًا ، وكانت مكتبة الوالد المنزلية عامرة بآلاف الكتب الصوفية ، ولديه أكوام من مجلات : (الإسلام ، ونور الإسلام ، وغيرهما) .

حتى جاء عام ١٩٤٤ م ، أو قبله بقليل ، بدأت تدخل منزلنا - على يد الوالد طبعًا - كتب لها طابع غريب لم أعهده من قبل . والتي عرفت فيما بعد أنها كتب السنة ، وكان معظمها من مطبوعات الشيخ / محمد منير الدمشقي رحمة الله عليه ، مثل : « الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم » ، «طريق الهجرتين » ، « السنن والمبتدعات » ، « الإبداع » للشيخ علي محفوظ .. وكتب كثيرة أخرى من هذا القبيل ، وأقرأ وأسمع : ابن تيمية ، وابن القيم الجوزية ، وابن رجب الحنبلي ، وأبا الفرج بن الجوزي .

وبدأت أسمع من الوالد آراءً تتعارض تمامًا مع ما كنت أسمعه منه قبلًا ، ثم سمعت منه أيضًا للمرة الأولى اسم مجلة (الهدي النبوي) ، والثناء عليها .

وأخذت أسمع منه آراء مغايرةً تمامًا في علماء أقدمين ؛ كانوا من قبل موضع تجلته واحترامه ، مثل : الشعراني ، والغزالي ، والبدوي ، والدسوقي ، وكثير جدًا غيرهم تبدل رأيه فيهم تبدلًا كليًا بسبب تلك الكتب الأخيرة .. أعني كتب السنة ، التي كشفت عن أخطاء في العقيدة كانت راسخة في أذهان وقلوب الناس ؛ رسوخ الجذور الممتدة في باطن الأرض .

ورأيت للمرة الأولي : « عم علي البدوي » يدخل بيتنا . ثم رأيته بعدئذٍ وقد انضم إليه شيخ فاضل اسمه الشيخ : « عبد السلام أحمد مسلم » رحمه الله .

ويتردد الاثنان على البيت ليلة بعد أخرى ؛ ويحلو النقاش ويطول ، وتمتد يد الوالد إلى مكتبته ؛ فتأتي بالكتاب تلو الكتاب ، ويطول الاستدلال والاستشهاد ، وما تكاد الجلسة أو السهرة تنقضي ، حتى أرى من حولي حشدًا هائلًا من الكتب متناثرًا فوق المقاعد والمناضد ، فيعيد الوالد كل كتاب إلى مكانه من المكتبة .

وتمر الليالي عذبة حلوة على هذا النسق البديع ، وكنت أحضر أكثرها مستمعًا ، أو قارئًا .

جوٌ جديد غيَّر كل شيء في البيت ، فتحول كل ما كان يتصل بالعقيدة رأسًا على عقب ، وكثيرًا ما كان الوالد يستدعيني لأريحه في القراءة ، أو أريح الشيخ / عبد السلام ، فأقرأ لهم بعض الوقت ، وهم يستمعون ويناقشون ويعلقون ، ثم يقرأ الوالد حتى يتعب ، فيقرأ الشيخ / عبد السلام ، وهكذا .. كنا ثلاثتنا نقرأ ما عدا : « عم علي بدوي » الأمي صاحب الفضل الأول - بعد الله - في اعتناقنا للسنة .

ومضت سنين طوال قبل أن أسأل الوالد عما كان سببًا في اعتناقه للسنة ، ثم سألته عن ذلك ، فقال : جمعتني الظروف وتعرفت بـ « عم علي بدوي » ، وكنا نسمر في المقهى القريب من المنزل ، ونناقش المسائل الدينية ، وكنت أستدل في نقاشي له بأقوال مشايخ الطرق وكبار الصوفية ، فكان

« علي بدوي » ينتفض صائحًا : (سبحان الله يا أخي !! أقول لك : قال الله ، وقال الرسول ، فتقول لي : يقول الشيخ فلان ؟ سبحان الله يا أخي ! سبحان الله !!) .

ملحوظة : هذا المعنى قد ضمنته بيتًا من قصيدتي : (دعوة إلى الهدى) التي نشرتها مجلة (الهدي النبوي) في عددها السابع من المجلد الثلاثين وفيه قلت :

أدعوك قال الله قال رسوله
فتجيب شيخي – إنه قد قالا

وكان « عم علي » يأتي معه بكتب وأدلة مفحمة ؛ وهو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، كما قدمت – فقال لي في أحد الأيام وهو يقدم إليَّ كتابًا :

اقرأ هذا ، قال الوالد : فأخذته وقرأته ، فإذا بي أسلم تسليمًا قاطعًا للسنة ، وأنبذ ما كنت أعتقده من قبل ، وأحسست بالبون الشاسع بين الحق الواضح ، وبين ما كنت عليه من الباطل ، ولقد كان عنوان هذا الكتاب مطولًا وغريبًا .. كان اسمه : « إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار وتحذيرهم من الابتداع الشائع في القرى والأمصار من تقليد المذاهب مع الحمية والعصبية بين فقهاء الأعصار » ، طبع منير الدمشقي .

إلى هنا وانتهى كلام الوالد .

وأقول : ولقد أهدى لي « عم علي » بعض الكتب ، منها : « مجموعة الرسائل الكبرى » لابن تيمية مجلدة ، وهي مازالت عندي إلى الآن . ولقد قرأنا بعد ذلك نحن الأربعة كتبًا كثيرة : منها « السنن والمبتدعات » للشيخ / محمد عبد السلام رحمه الله ، وكثيرًا من كتب ابن القيم الشهيرة ، وابن تيمية ، وغيرها من كتب السنة ، وقرأنا مناقشات القصيمي النجدي وهجومه على الشيخ / يوسف الدجوي ، وزاهد الكوثري ، وكذلك جانبًا من « تفسير المنار » ، وكتب الشيخ / محمد عبده ، ورشيد رضا .

وهكذا رسخت السنة لدى الوالد رسوخًا متينًا لا فكاك منه .

وجاء دوري ؛ ولكن كنت مفتونًا بخرافات الكرامات الصوفية ، وخوارق العادات التي يزعمونها ، فلم تتركز السنة في أعماقي بالقدر اللازم .

وهذا بالإضافة إلى أنه مرت بي فترة طيش انقطعت فيها عن أداء الفرائض متعللًا بعذر - أقبح من الذنب ، وهو فورة الشباب وجنونه – مما أدى إلى حدوث جفوة بيني وبين الوالد ، كنت فيها جاحدًا ومخطئًا حقًا .

إلى أن تزوجت فسعيت بعد أن استيقظ ضميري ، وعدت إلى أداء الفرائض – سعيت إلى إرضاء الله ، وطلب صفحه ورضاه ، فوفقني الله إلى ذلك بحمده ، وكان ذلك في نهاية عام ١٩٥٦ م تقريبًا .

وبحكم عودتي إلى الدين عدت أسترجع في ذاكرتي معلوماتي الدينية الماضية ، وتأبى رحمة الله إلا أن تضع في طريقي زميلًا في العمل هو : « هاشم محمد خليل » من أنصار السنة المحمدية ..، كان النقاش قد احتدم بينه وبين زملاء العمل من أتباع الطرق والمذاهب ، فاستشهد بي على صحة حديث : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، من تركها فقد كفر » ، فأكدت له صحته من واقع معلوماتي السابقة .

ومن هذه اللحظة بدأ النقاش بيني وبين الجميع حول أحقية السنة أو التصوف ، وتملكتني الحيرة الشديدة ، وعشت في صراع مدمر سنوات طوالًا وأنا حائر ، لا أدري أي النهجين أرجح ؟ ألتفتُ فأرى كلام الصوفية المعسول ذا العذوبة التي تخلب اللب ، وتستهوي النفس ، ولم أكن أدري كما عرفت بعدئذ أنها السم في العسل ، وكنت ألتفت فأرى كلمات السنة شديدة قوية قارعة ، على جانب من الصلابة ، ولم أكن أدري آنئذ أنها صلابة الحق – وكنت أستمع إلى

الآيات القرآنية وهي تنذر وتحذر ، فكنت أتهم نفسي بالتقصير وبالقصُّور في الفهم ، وأقول لنفسي : كيف لا يكون الأولياء الكبار مع الحق ، وهم الذين فعلوا كذا وكذا ، لا ، لا بد أنني أنا المخطئ ، وهم لا بد على الحق .

وعاد الصراع بيني وبين الوالد من جديد حول أحقية السنة أو التصوف ، فعاد يحاول أن يثبت لي من جديد أن السنة هي الأحق والأولى ، ولكن لم أقتنع بدرجة كافية ، حتى يسر الله لي كتابًا كنت أراه في مكتبة الوالد منذ سنوات وسنوات ، وما كنت أعيره انتباهًا وهو كتاب : « تلبيس إبليس » لابن الجوزي .

ووالله الذي لا إله إلا هو لم أكد أبلغ ربع صفحات الكتاب ، إلا وقد شرح الله صدري للسنة شرحًا عظيمًا ، فسلمت للسنة تسليمًا مطلقًا بعد ما ثبت لديَّ بما لا يدع مجالًا للشك أن الحق في جانب السنة .

وعدت من جديد أنقب في كتب السنة حتى تشربتها روحي ، وخالطت السنة لحمي ودمي .

ودعاني زميل العمل إلى المقر الرئيسي لجماعة أنصار السنة المحمدية بمحرم بك ؛ لسماع أحد العلماء الزائرين ، فذهبت وسمعت ، وتعرفت وتعارفت ، وأحببت وتعشقت ، فكررت الزيارة ؛ وكثر ترددي حتى أصبحت الدار ومن فيها أحب شيء إلى نفسي .

وطلبت عضوية الجماعة ، وخطبت بها ، وأعلنت أمام الجميع اعتناقي للسنة ، فكرهني المتصوفة ، وأبغضوني بغضًا لا مزيد عليه .

فلم أُبال ، ولقد عوضني الله بمحبة أنصار السنة المحمدية الموحدين خير عوض ، وأبدلني بعد الظلمة نورًا ، وبعد الجهالة والضلالة هدًى ، وبعد الباطل حقًّا .

ولقد زاد فضل إخواني أنصار السنة عليَّ إذ طلبوا إليَّ أن أشترك معهم في حمل أمانة الدعوة ، فاعتذرت بعدم الكفاءة ، فأسبغوا عليَّ المزيد من توجيهاتهم الرشيدة السديدة ، وجهدهم المشكور ، حتى أصبحت بفضل الله سبحانه جنديًّا أقف إلى جانبهم في الميدان ، أدافع عن عقيدتنا : عقيدة الحق بروحي ووجداني وكياني ، وآخذ نصيبي من حقد الحاقدين ، وشتائم المخرفين ، وكراهية المضللين ، وأنا بذلك جد سعيد .

وأشهد الله أنني ما شعرت بفضل الله عليَّ ونعمته ؛ إلا بعد اعتناقي للسنة ، ووالله ما شعرت بطعم الصلاة إلا في كنف أنصار السنة ، ووالله ما انشرح صدري قط ، وأحسست بعظمة الإسلام ، إلا في رحاب السنة وأنصار السنة .

فجزى الله السنة وأنصار السنة عنا خير الجزاء ، ورحم الله : « عم علي بدوي » ، وأجزل مثوبته ، والحمد لله رب العالمين .

محمد عبد الكريم أحمد

حول غزوة خيبر

البخاري : عن أنس – رضي الله عنه – قال : صبَّحنا خيبر بُكرةً . فخرج أهلها بالمساحي – آلات الحرث – فلما بصُرُوا بالنبي ﷺ قالوا : محمد . والله محمد والخميس – الجيش – فقال ﷺ : « الله أكبر خربت خيبر ؛ إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين » . فأصبنا من لحوم الحُمر . فنادى منادِ النبيِّ : « إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحُمر فإنها رجس » .

تاجر الديون الربوي

أ.د. علي السالوس

من تعريفات البنك - كما رأينا - ظهر أنه تاجر ديون ، فهو يقترض بالربا ، ويقرض بالربا ، ولكن بنسبة تختلف ، ورأينا من الاقتراض ما سمي بالودائع ، وما سمي بشهادات الاستثمار . ومن وقت لآخر يمكن أن نجد من البنوك من يعلن عن شكل جديد من صور القرض . ويبتكر له اسمًا جديدًا .

مثال هذا اقتراض بنك مصر بالدولار ، والفوائد الربوية تدفع تبعًا لمقدار المبلغ المقترض ، والمدة التي يمكثها في البنك ، وترتبط هذه الفوائد بمعدل الربا العالمي السائد .

غير أن البنك يسمي هذا القرض :

شهادات الادخار الدولارية .

ويتحدث عن الربا المذكور فيقول : يضمن لك أعلى عائد متاح مرتبط بالمعدلات الدولية .

ويقول : تتميز الشهادات بصرف العائد بالدولار كل ستة شهور .

وبسهولة يمكن أن ندرك أن هذه الشهادات تعتبر قرضًا ، وأن ما أسموه بالعائد هو من الزيادة الربوية المحرمة ، وأن هذه الصورة في حقيقتها لا تختلف كثيرًا عن نوع من الربا كان منتشرًا في الجاهلية ، غير أن الربا هناك كان أقساطًا شهرية ، وهنا كل ستة أشهر .

وبنك مصر أعلن عن فتح فرعين إسلاميين ، وعن عزمه على فتح عدة فروع مماثلة ، وبدأنا نسمع منه الربح الحلال ، والكسب المشروع ، والرقابة الشرعية . ومعنى هذا : اعترافه بأن فروعه الأخرى ليست إسلامية ، وأن كسبها ليس حلالًا طيبًا ، وإنما هو حرام خبيث .

وما دام يعرف الحلال والحرام ، فلعله يتحول إلى بنك إسلامي بجميع فروعه ، ولعل غيره من بنوكنا يحذو حذوه .

والبنك الأهلي المصري - كسائر البنوك الربوية - يتاجر في الديون بالربا ، ويتضح هذا عند الاطلاع على الأعمال التي يقوم بها ، فليست شهادات الاستثمار هي القرض الربوي الوحيد . ولسنا في حاجة إلى الحديث عن أعماله ، فما يقال عن البنوك الربوية ينطبق عليه . غير أننا

نضيف هنا إلى شهادات الاستثمار نوعًا آخر مشابهًا لها ، فلنقرأ الإعلانات التي ينشرها البنك .

ومن هذه الإعلانات نجد أن البنك يطلب قرضًا ربويًا مضمونًا ، غير أنه أسماه : « شهادات البنك الأهلي المصري » ، وهذا القرض مدته خمس سنوات ، والزيادة الربوية في مقابل هذه المدة قدرها : ٥٧,٥٪ من قيمة الشهادة ، أي : القرض ، وتقسط هذه الزيادة الربوية على أقساط تدفع كل ثلاثة أشهر ، وسميت هذه الزيادة الربوية عائدًا .

والفرق بين هذه الشهادات والنوع الذي شاع في الجاهلية ، وعند الرومان والإغريق ، أن المدة هنا خمس سنوات بدلًا من سنةٍ ، وأن الأقساط الربوية كل ثلاثة أشهر بدلًا من الأقساط الشهرية .

فهل تغير جوهر القرض الربوي ؟

ويكشف البنك هنا عن حقيقته كتاجر ديون مرابٍ ، حيث يعلن عن إمكان الإقراض بضمان هذه الشهادات في حدود ٩٠٪ من قيمتها ، وبالطبع عندما يقرض البنك فإنما يقرض بزيادة ربوية أكبر ، ومن هنا ندرك لماذا كان الإقراض في حدود تسعين في المائة فقط من قيمة الشهادات .

وهكذا يقوم البنك بوظيفته الربوية ، مستغلًا أموال هذه الشهادات ، وغيرها مثل شهادات الاستثمار والودائع .

فليتق الله تعالى أولئك الذين يحلون شهادات الاستثمار .

صورتان للإقراض الربوي

هذه أمثلة سيقت للاقتراض بالربا ، فلننظر إلى أمثلة للإقراض بالربا .

تتخذ عمليات الإقراض التي تزاولها البنوك إحدى صورتين :

(أ) القروض البسيطة .

(ب) فتح الاعتمادات .

وتختلف القروض عن الاعتمادات المفتوحة في حصول المقترض على مبلغ القرض بمجرد الاتفاق ، واحتساب الفوائد عن المبلغ بأكمله ، وعن المدة المتفق عليها كاملة . وقد يندمج القرض في حساب جارٍ ؛ فيضيف البنك مبلغ القرض إلى الجانب الدائن لحساب العميل بمجرد التعاقد .

أما فتح الاعتماد فعقد يلتزم البنك بمقتضاه بوضع مبلغ معين تحت تصرف عميله لمدة معينة ، فيكون للعميل الحق في سحب أي مبلغ يشاء في حدود الاعتماد ، وفي غضون مدته ، كما أن له إيداع ما يريد خصمًا على الرصيد المدين ، فيقل بذلك دينه . ولا تحتسب الفوائد إلا على الأرصدة المدينة من يوم سحبها . (مقدمة في النقود والبنوك للدكتور / محمد زكي شافعي ص ٢١٥) .

(**ويلتزم** العميل أن يدفع للبنك عمولة معينة تستحق - غالبًا - بمجرد إبرام عقد فتح الاعتماد سواء استخدمه أم لم يستخدمه . وتبرر العمولة بأنها مقابل ما يتحمله البنك ليكون مستعدًا لمواجهة احتياجات العميل) .

وإذا نظرنا فيما سبق وجدنا الفائدة التي تؤخذ زيادة على القرض في الصورتين السابقتين هي من الربا المحرم .

وإلى اللقاء في العدد القادم

ا.د علي السالوس

باب الأدب

لا غالب إلا الله

السيد عبد الحليم محمد حسين
ماجستير في الأدب العربي

شعار بنى الأحمر الذى حلوا به قصورهم ومساجدهم .. إنها عنوان لكتاب من العبر تفتح العين على الماضى ، لتصيح الآذان إلى حديث الزمان ، بجولان الفكر ، طاويا الأعصار ، منظما البوادى والأمصار ، واثبا من غيب التاريخ إلى الحاضر ، ومن الحاضر إلى غيب التاريخ .

شهدت فى ساعة جيوش طارق غازية من الزقاق إلى البُرتات ، وشهدت مصرع عبد الرحمان الغافقى فى بلاد الشهداء وشهدت جلاد الأجيال من المسلمين والأسبان ، ورأيت عبد الرحمن الناصر فى حربه وسلمه ملء العين جلالاً ورهبة ، وملء القلب عدلاً ورحمة . ورأيت البطل ابن أبى عامر يحالف الظفر فى خمسين غزوة ، ويبعد المغار حيث نكصت الهمم والعزائم من قلبه ، ورأيت دولة الأمويين تُزلزل فتتصدع فتنهار ، فأبصرت ملوك الطوائف يتنازعون البوار والعار ، ويؤدون الجزية إلى ألفونس السادس صاغرين ثم سمعت جلبة جيوش المرابطين يقدمها يوسف بن تاشفين ، وشهدت موقعة الزلاقة القاهرة ، ثم رأيت راية المرابطين تلق رايات ملوك الطوائف ، وهذه دولة الموحدين وهذا المنصور يعقوب بن يوسف فى موقعة الأرك يحطم جيوش الأسبان بعد الزلاقة بمائة عام. ورأيت موقعة العقاب وقد دارت على المسلمين دوائرها ، والناصر بن يعقوب يغز بنفسه بعد أن اقتحمت عليه المنايا دائرة الحراس .

ورأيت غرناطة وحيدة فى الجزيرة يتيمة، قد ذهبت أترابها ، وصارت كما قال طارق يوم الفتح : أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام ، ولكنها على العلات ، ورثت

مجد المسلمين وكبرياءهم فجالدت الدهر عن نفسها مائتين وخمسين عاما ، وحمت حصارها المسلمين على رغم النوائب وكلب الأعداء . ثم رأيت أشراط الساعة :

رأيت أبا الحسن وأخاه محمداً يقتتلان ويتنازعان على السلطان على مرأى من العدو ومسمع ورأيت أبا عبد الله ينازع أباه الحسن ذلك الملك المائل ، والظل الزائل ، ورأيت العراك المديد بين أبى عبد الله وعمه الزغل كما تتناطح الخراف فى حظيرة القصّاب ، وتلك جيوش فرديناند وإيزابيللا تُنيخ على مدينة بعد أخرى ، وتدك معقلا بعد آخر ، معالقة تجاهد الكوارث جهاد المستميت ، والزغل يشق الأهوال إليها لينقذها . فيقطع أبو عبد الله طريقه ويرد جنده . مالقة فى قبضة العدو ، وأهلها أسارى يباعون فى الأسواق ، ويتهاداهم الملوك والكبراء . وها هو الزغل يسلم ورياش إلى العدو على منحه من الأرض والمال ، ثم يعيا بأعباء المذلة والهوان فيهاجر إلى المغرب ثم شهدت يوم القيامة:

الجيوش محيطة بغرناطة وأهلها يغيرون على العدو وجهد البطولة والاستبسال والصبر ، ثم يغلق عليهم الضعف أبواب المدينة ، وهذا شهر ربيع سنة سبع وتسعين وثمانمائة ، وأبو عبد الله يسير إلى فرديناند فى كوكبة من الفرسان لا محارباً ولا معاهداً ، ولكن ليسلم إليه مفاتيح الحمراء ، نظرت الصليب الفضى الكبير يتلألأ على أبراج القلعة ، ويكتب مع أبى عبد الله وهو يودع معاهد المجد وملاعب الصبا من الجمراء وحنة العريف وسمعت أمه عائشة تصرخ فى وجهه : « إبك اليوم كالنساء على ملك لم تحتفظ به احتفاظ الرجال » فينهل دمعه ، وتتصاعد زفراته على الأكمه التى يسميها الأسبان اليوم « آخر زفرات العربى » وهذا أبو عبد الله وهو الذى باء بأوقار من الذل والعار تأبى فيه بقية من الشمم العربى أن يقيم القيم فيهاجر إلى المغرب ويرسل إلى سلطان فارس من وطاس رسالته الذليلة المسهبة يدفع عن نفسه ما قرف بين عرضه ودينه ويشكو إلى السلطان حزنه وبثه فيقول:

فولى الملوك ملوك العرب والعجم
رعيا لما مثله يرعى من الذمم

عىَ رأسى وقلبى بهذه الأحداث الكاربة، والخطوب المتلاحقة ، وهالتنى هذه المشاهد المفظعة ، فخرجت من هذه الغمرة مرتاعاً كما يستيقظ النائم عن حلم هائل أردد : «لا غالب إلا الله » .